فهناك تعلم أي حزبينا هو الـــمتنقص المنقوص ذو العدون

رامي البريء بدائه ومصابه فعل المباهت أوقح الحيوان

كمعيّر للناس بالزغل الذي هو ضربه فاعجب لذا البهتان

الزغل بفتح الزاي

يافرقة التنقيص بل ياأمة الـــدعوى بلا علم ولا عرفان

والله ماقدمتمُ يوماً مقـــا لته على التقليد للانسان

والله ماقال الشيوخ وقال إلاّ كنتم معهم بلا كتمان

والله أغلاط الشيوخ لديكمُ عين الصواب ومقتضى البرهان

ولذا قضيتم بالذي حكمت به جهلاً على الاخبار والقرآن

والله انهم لديكم مثل معصـــوم وهذا غاية الطغيان

تباً لكم ماذا النقص بعد ذا لو تعرفون العدل من نقصان

والله مايرضيه جعلكمُ له ترساً لشرككمُ وللعدوان

وكذاك جعلكم المشايخ جنة لخلافه والقصد ذو تبيان

والله يشهد ذا بجذر قلوبكم وكذاك يشهده أولو الإيمان

قوله : بجذر قلوبكم الخ . الجذر بالذال المعجمة . قال في « مختار الصحيح » جذر كل شيء أصله، بفتح الجيم عن الاصمعي، وبكسرها عن أبي عمرو. وفي الحديث : « إن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال » .

والله ماعظمتموه طاعة ومحبة يا فرقة العصيان
أنى وجهلكم به وبدينه وخلافكم للوحي معلومان؟
أوصاكم أشياخكم بخلافهم لوفاقه في سالف الأزمان
خالفتم قول الشيوخ وقوله فغدا لكم خلفان متفقان

أي : انكم معاشر النفاة خالفتم قول الرسول ﷺ ، وخالفتم أقوال الأئمة المجتهدين رحمهم الله تعالى ، فانهم أوصوكم ، بخلاف أقوالهم اذا خالفت قول الرسول ﷺ كما قد تقدم بعض أقوالهم ، فخالفتم الرسول ﷺ ، وخالفتم الأئمة في ترك أقوالهم اذا خالفت أقواله ، وهذا معنى قول الناظم : فغدا لكم خلفان متفقان ، وهما خلاف قول الرسول ﷺ ، وخلاف قول الأئمة رضي الله عنهم .

والله أمركم عجيب معجب ضدان فيكم ليس يتفقان
تقديم آراء الرجال عليه مع هذا الغلو فكيف يجتمعان؟!
كفرتم من جرد التوحيد جهـــلا منكم بحقائق الإيمان
لكن تجردتم لنصر الشرك والبـــدع المضلة في رضى الشيطان
والله لم نقصد سوى التجريد للتـــوحيد ذاك وصية الرحمن
ورضى رسول الله منا لا غـــلو الشرك أصل عبادة الأوثان
والله لو يرضى الرسول دعاءنا إياه بادرنا الى الاذعـان
والله لو يرضى الرسول سجودنا كنا نخر له على الأذقـان
والله مايرضيه منا غير اخـــلاص وتحكيم لذا القرآن

ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه فعل النصارى عابدي الصلبان

ولقد نهانا أن نصيّر قبره عيداً حذار الشرك بالرحمن

ودعا بأن لايجعل القبر الذي قد ضمه وثناً من الأوثان

فأجاب رب العالمين دعاءه وأحاطه بثلاثة الجدران

حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه في عزة وحماية وصيان

قوله : ولقد نهى ذا الخلق عن إطرائه الخ . يشير الى قوله ﷺ « لاتطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا : عبد الله ورسوله » متفق عليه [1] .

قوله : ولقد نهانا أن نصير قبره عيداً الخ . يشير الى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « لاتجعلوا بيوتكم قبوراً ، ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيث كنتم » رواه أبو داود باسناد حسن ، ورواته ثقات . وعن علي بن الحسين رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يجيء الى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ ، فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ قال « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، فان تسليمكم يبلغني أين كنتم » رواه في « المختارة » ورواه أبو يعلى ، والقاضي اسماعيل . وقال سعيد ابن منصور في « سننه » : حدثنا عبد العزيز بن محمد ، أخبرني سهيل ابن أبي صالح ، قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم عند القبر ، فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى ، فقال : هلم الى العشاء فقلت : لاأريده . فقال : مالي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلمت على النبي ﷺ ، فقال : اذا دخلت المسجد ، فسلم ، ثم قال : إن رسول الله ﷺ

(١) كذا في الأصل : متفق عليه ، ولم يروه مسلم ، فهو من رواية البخاري وحده ورواه الترمذي ، والدارمي ، والطيالسي ، وأحمد .

قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني حيثما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى ، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ما انتم ومن بالأندلس الا سواء . وقال سعيد أيضاً : حدثنا حبان بن علي ، ثنا محمد بن عجلان ، عن أبي سعيد مولى المهري قال: قال رسول الله ﷺ « لاتتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلوا علي ، فان صلاتكم تبلغني » قال شيخ الاسلام : فهذان المرسلان من هذين الوجهين المختلفين ، يدلان على ثبوت الحـــديث ، لاسيما وقد احتج به من أرسله ، وذلك يقتضي ثبوته عنده ، هذا لو لم يرو من وجوه مسندة غير هذين ، فكيف وقد تقدم مسنداً .

وقـال أيضاً : فانظر الى هذه السنة ، كيف مخرجها من أهل المدينة ، وأهل البيت الذين هم من رسول الله ﷺ قرب النسب ، وقرب الدار ، لأنهم الى ذلك أحوج من غيرهم ، فكانوا له أضبط . انتهى .

قوله : ودعا بأن لايجعل القبر الذي قد ضمه الخ . قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي ﷺ ، فأعلوا حيطـــان تربته ، وسدوا المداخل اليها ، وجعلوها محدقة بقبره ﷺ ، ثم خـــافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة ، إذ كان مستقبل المصلين ، فتصور الصلاة اليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين ، وحرفوهما حتى التقيـــا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال ، حتى لايتمكن أحد من استقبال قبره . انتهى . وهذا معنى قول الناظم : حتى اغتدت أرجاؤه بدعائه الخ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ولقد غدا عند الوفاة مصرحاً باللعن يصرخ فيهم بأذان

وعنى الألى جعلوا القبور مساجداً وهم اليهود وعابدو الصلبان

والله لولا ذاك أبرز قبره لكنهم حجبوه بالحيطان

قصدوا الى تسنيم حجرته ليمـــتنع السجود له على الأذقـان

قصدوا موافقة الرسول وقصده الـــتجريد للتوحيد للرحمن

قوله : ولقد غدا عند الوفاة الخ . يشير الى حديث عائشة رضي الله عنها قالت : لما نزل برسول الله ﷺ ، طفق طفق خميصة له على وجهه ، فاذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، ولولا ذلك أبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . أخرجاه .

قولها : غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً . روي بفتح الخاء ، وضمها ، فعلى الفتح هو الذي خشي ذلك ﷺ ، وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة ، فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً بما أبدى وأعاد من النهي عنه ، والتحذير منه ، ولعن فاعله .

قوله : قصدوا الى تسنيم حجرته الخ . تقدم كلام القرطبي رحمه الله تعالى في ذلك . ولعل الناظم أخذ هذا المعنى من كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

يافرقة جهلت نصوص نبيهم وقصوده وحقيقة الإيمان

فسطوا على أتباعه وجنوده بالبغي والعدوان والبهتان

لاتعجلوا وتبينوا وتثبتوا فمصابكم مافيه من جبران

قلنا الذي قال الأئمة قبلنا وبه النصوص أتت على التبيان
القصد حج البيت وهو فريضة الـــرحمن واجبة على الأعيـان
ورحالنا شدت اليه من بقـا ع الأرض قاصيها كذاك الداني
من لم يزر بيت الإله فمـاله من حجه سهم ولا سهمان
وكذا نشد رحالنا للمسجد النـــبوي خير مساجد البلدان
من بعد مكة أو على الاطلاق فيـــه الخلف عند الناس منذ زمان
ونراه عند النذر فرضاً لكن النـــعمان يأبى ذا وللنعمان
أصل هو النافي الوجوب فانه ماجنسه فرض على الانسان
ولنـا براهين تدل بأنه بالنذر مفترض على الانسان
أمر الرسول لكل ناذر طاعة بوفائه بالنذر بالاحسان
وصلاتنا فيه بألف في سوا ه ماخلا ذا الحجر والأركان
وكذا صلاة في قبا فكعمرة في أجرها والفضل للمنـان
فاذا أتينا المسجد النبوي صلـــينا التحية أولاً ثنتان
بتمام اركان لها وخشوعها وحضور قلب فعل ذي الاحسان
ثم انثنينا للزيارة نقصد الـــقبر الشريف ولو على الأجفان
فنقوم دون القبر وقفة خاضع متذلل في السر والاعلان
فكأنه في القبر حي ناطق فالواقفون نواكس الاذقان

ملكتهم تلك المهابة فاعترت تلك القوائم كثرة الرجفان
وتفجرت تلك العيون بمائها ولطالما غاضت على الأزمان
وأتى المسلّم بالسلام بهيبة ووقار ذي علم وذي إيمان
لم يرفع الأصوات حول ضريحه كلا ولم يسجد على الأذقان
كلا ولم ير طائفاً بالقبر أُسـ ـبوعاً كأن القبر بيت ثان
ثم انثنى بدعائه متوجهاً لله نحو البيت ذي الاركان
هذي زيارة من غدا متمسكاً بشريعة الاسلام والإيمان
من أفضل الأعمال هاتيك الزيا رة وهي يوم الحشر في الميزان
لا تلبسوا الحق الذي جاءت به سنن الرسول بأعظم البطلان
هذي زيارتنا ولم ننكر سوى الـ ـبدع المضلة ياأولي العدوان
وحديث شد الرحل نص ثابت يجب المصير اليه بالبرهان

مراد الناظم رحمه الله انا قلنا بما قالت به الأئمة قبلنا ، ودلت عليه النصوص ، فذكر أن حج البيت فريضة ، وهذا معلوم بالاضطرار من دين الاسلام .

قوله : ورحالنا شدت اليه الخ . يشير الى الحديث المتفق عليه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ... » الحديث

وكذا نشد رحالنا للمسجد النبوي الخ . أقول :

قوله هذه مسألة الزيارة ، وهي التي أفتى فيها شيخ الاسلام ، وحبس بسببها حتى مات في الحبس ، ولنذكر جوابه في المسألة ، وذلك أنه سئل عن رجل نوى زيارة قبر نبي من الأنبياء عليهم السلام ، مثل نبينا ﷺ وغيره ،

فهل يجوز له في سفره أن يقصر الصلاة ؟ وهل هي زيارة شرعية ، أم لا ؟ وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال « من حج فلم يزرني فقد جفاني » و« من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » وقد روي عنه أنه قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » .

أجاب الشيخ رضي الله عنه : الحمد لله رب العالمين ، أما من سافر لمجرد زيارة قبور الأنبياء والصالحين ، فهل يجوز له القصر ؟ على قولين ، أحدهما وهو قول متقدمي العلماء الذين لايجوزون القصر في سفر المعصية ، كأبي عبد الله ابن بطة ، وأبي الوفاء ابن عقيل ، وطوائف كثيرة من العلماء المتقدمين أنه لايجوز القصر في هذا السفر ، لأنه سفر منهي عنه . ومذهب مالك والشافعي وأحمد رحمهم الله أن السفر المنهي عنه في الشريعة لا يقصر فيه ، والقول الثاني أنه يقصر ؛ وهذا يقوله من يجوز القصر في السفر المحرم ، كأبي حنيفة ، ويقوله بعض المتأخرين من أصحاب الشافعي وأحمد ، ممن يجوز السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، كأبي حامد الغزالي ، وأبي الحسن ابن عبدوس الحراني ، وأبي محمد ابن قدامة المقدسي ، وهؤلاء يقولون : ان هذا السفر ليس بمحرم ، لعموم قوله ﷺ « زوروا القبور » وقد يحتج بعض من لايعرف الحديث بالأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله « من زارني بعد مماتي فكأنما زارني في حياتي » رواه الدارقطني ، وابن ماجه . وأما مايذكره بعض الناس من قوله « من حج فلم يزرني فقد جفاني » فهذا لم يروه أحد من العلماء ، وهو مثل قوله « من زارني وزار أبي في عام واحد ضمنت له على الله الجنة » فان هذا أيضاً باطل باتفاق العلماء ، لم يروه أحد ، ولم يحتج به أحد ، وانما يحتج بعضهم بحديث الدارقطني

ونحوه ، وقد احتج أبو محمد المقدسي على جواز السفر لزيارة القبور ، بأن النبي ﷺ كان يزور مسجد قباء ، وأجاب عن حديث « لاتشد الرحال.. » بأن ذلك محمول على نفي الاستحباب . وأما الأولون ، فانهم يحتجون بما في « الصحيحين » عن النبي ﷺ قال : « لاتشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا » وهذا الحديث اتفق العلماء على صحته ، والعمل به ، فلو نذر الرجل أن يصلي في مسجد أو مشهد ، أو يعتكف فيه ، أو يسافر اليه ، غير هذه الثلاثة ، لم يجب عليه ذلك باتفاق الأئمة ، ولو نذر أن يأتي المسجد الحـــرام لحج أو عمرة ، وجب عليه ذلك باتفـاق العلماء ، ولو نذر أن يأتي مسجد النبي ﷺ ، أو المسجد الأقصى ، لصلاة أو اعتكاف ، وجب عليه الوفاء بهذا النذر عند مالك والشافعي في أحد قوليه ، وأحمد ، ولم يجب عليه عند أبي حنيفة ، لأنه لا يجب عنده بالنذر إلا ما كان جنسه واجباً بالشرع . أما الجمهور ، فانهم يوجبون الوفاء بكل طاعة ، كما ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : « من نذر أن يطيع الله فليطعه .. » الحديث . رواه البخاري .

وأما السفر الى بقعة غير المساجد الثلاثة ، فلم يوجب أحد من العلماء السفر اليها إذا نذره ، حتى نص بعض العلماء على أنه لا يسافر الى مسجد قباء ، لأنه ليس من الثلاثة ، مع أن مسجد قباء تستحب زيارته لمن كان بالمدينة ، لأن ذلك ليس بشد رحل ، كما في « الصحيح » من « تطهر في بيتـه ، ثم أتى مسجد قبـاء لايريد الا الصلاة فيه ، كان كعمرة » قالوا : ولأن السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين بدعة ، لم يفعلها أحد الصحابة والتابعين ، ولا أمر بها رسول الله ﷺ ، ولا استحبها أحد من أئمة المسلمين ، فمن اعتقد ذلك عبادة وفعلها ، فهذا مخالف للسنة واجماع الأمة ، وهذا مما ذكره أبو عبد الله ابن بطة في « الابانة الصغرى ،

من البدع المخـــالفة للسنة ، والاجماع ، وبهذا يظهر ضعف حجة أبي محمد المقدسي ، فان زيارة النبي ﷺ لمسجد قباء لم تكن بشد رحل ، وهو يسلم لهم أن السفر اليه لايجب بالنذر .

وقوله : ان قوله : « لاتشد الرحـال » محمول على نفي الاستحباب . يجـــاب عنه من وجهين : أحدهما : أن هذا تسليم منه أن هذا السفر ليس بعمل صالح ، ولا قربة وطاعة ، ومن اعتقد في السفر لزيارة قبور الأنبياء والصالحين ، وأنه قربة وطاعة ، فقد خـالف الاجماع ، واذا سافر لاعتقاد أنها طاعة ، فذلك محرم باجماع المسلمين ، فصار التحريم من جهة اتخاذه قربة ، ومعلوم أن أحداً لايسافر اليها الا لذلك . وأما اذا قدر أن شد الرحل اليها لغرض مباح ، فهذا جائز ، وليس من هذا الباب .

الوجه الثاني : أن الحديث يقتضي النهي ، والنهي يقتضي التحريم ، وما ذكروه من الأحاديث في زيارة قبر النبي ﷺ ، فكلها ضعيفة باتفاق أهل العلم بالحديث ، بل هي موضوعة ، لم يرو أحد من أهل السنن المعتمدة شيئاً منها ، ولم يحتج أحد من الأئمة منها بشيء ، بل مالك إمام أهل المدينة النبوية الذين هم أعلم الناس بحكم هذه المسألة ، كره أن يقول الرجل : زرت قبر النبي ﷺ ، ولو كان هذا اللفظ معروفاً عندهم ، مشروعاً ، أو مأثوراً عن النبي ﷺ ، لم يكرهه عالم المدينة . والإمام أحمد رضي الله عنه أعلم النـــاس في زمانه بالسنة ، لما سئل عن ذلك لم يكن عنده مايعتمد عليه في ذلك ، إلا حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : « مامن رجل يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى أرد عليـــه السلام » وعلى هذا اعتمد أبو داود في « سننه » وكذلك مالك في « الموطأ » روى عن عبد الله بن عمر أنه كان اذا دخل المسجد قال : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يا أبا بكر ، السلام عليـــك

يأبت ، ثم ينصرف . وفي « سنن أبي داود » عن النبي ﷺ أنه قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ، فان صلاتكم تبلغني » وفي « سنن سعيد بن منصور » عن حسن بن حسن بن علي ابن أبي طالب أنه رأى رجلاً يختلف الى قبر النبي ﷺ ، ويدعو عنده فقال : ياهذا ، إن رسول الله ﷺ قال : « لاتتخذوا قبري عيداً ، وصلوا علي أينما كنتم ؛ فان صلاتكم تبلغني » فما أنت ورجل بالأندلس منه الاسواء ، وكان الصحابة والتابعون ، لما كانت الحجرة النبوية منفصلة عن المسجد الى زمن الوليد ابن عبدالملك لايدخل عنده أحد ، لالصلاة هناك ، ولالمسح قبر ، ولا لدعاء ، بل هذا انما كانوا يفعلونه في المسجد . وكان السلف من الصحابة والتابعين إذا سلموا عليه ، وأرادوا الدعاء ، دعوا مستقبلي القبلة ، ولم يستقبلوا القبر. وأما الوقوف للسلام عليه صلوات الله وسلامه عليه . فقال أبو حنيفة : يستقبل القبلة أيضاً ولا يستقبل القبر . وقال أكثر الأئمة : يستقبل القبر عند السلام خاصة ، ولا يستقبل القبر عند الدعاء ، وليس في ذلك الا حكاية مكذوبة تروى عن مالك ، ومذهبه بخلافها ، ولم يقل أحد من الأئمة أنه يستقبل القبر عند الدعاء . واتفق الأئمة على أنه لايتمسح بقبر النبي ﷺ ، ولا يقبله ، وهذا كله محافظة على التوحيد ، فان من أصول الشرك بالله سبحانه ، اتخاذ القبور مساجد ، كما قالت طائفة من السلف في قوله تعالى : (وقالو لاتذرن آلهتكم ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) نوح : ٢٣ وقالوا : هؤلاء كانوا قوماً صالحين في قوم نوح ، فلما ماتوا ، عكفوا على قبورهم ، ثم صوروا على صورهم تماثيل ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوها . وقد ذكر هذا المعنى البخاري في « صحيحه » عن ابن عباس ، وذكره محمد ابن جرير الطبري وغيره في التفسير ، عن غير واحد من السلف ، وذكره

وثيمة وغيره في قصص الأنبياء من عدة طرق . وقد بسطت الكلام على أصول هذه المسائل في غير هذا الموضع . وأول من وضع الأحاديث في السفر لزيارة المشاهد أهل البدع الرافضة ، ونحوهم الذين يعطلون المساجد ويعظمون المشاهد ، يدعون بيوت الله التي أمر الله أن يذكر فيها اسمه ، ويعبد فيها وحده لاشريك له ، ويعظمون المشاهد التي يشرك فيها ويبتدع فيها دين لم ينزل الله به سلطاناً ، فان الكتاب والسنة انما فيهما ذكر المساجد لا المشاهد . كما قال الله تعالى : (قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد) الأعراف : ٢٩ وغير ذلك من الآيات ، والله تعالى أعلم . انتهى.

واعلم أن من أدلة المجوزين لشد الرحل الى ماذكره التقي السبكي في كتابه « شفاء السقام » من الأحاديث المروية في زيارة قبر النبي ﷺ ، كقوله عليه السلام « من زار قبري وجبت له شفاعتي » رواه الدارقطني . وفي رواية « حلت له شفاعتي » وقوله عليه الصلاة والسلام « من جاءني زائراً لايعمله حاجة الا زيارتي ، كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة » رواه الطبراني . وقوله ﷺ « من حج الى مكة ثم قصدني في مسجدي، كتب له حجتان مبرورتان » رواه ابن عباس . وقوله ﷺ « من حج فزار قبري بعد وفاتي ، فكأنما زارني في حياتي » رواه الدار قطني ، والحديث الذي روي « من حج البيت ولم يزرني فقد جفاني » رواه ابن عمر ، وأطنب السبكي في الأدلة . وقد أجاب المانعون عن جميع ذلك ، كما قال الامام الحافظ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الهادي في كتابه الذي سماه «الصارم المنكي في الرد على السبكي » مانصه : أما بعد ، فاني وقفت على الكتاب الذي ألفه بعض قضاة الشافعية في الرد على شيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية في مسألة شد الرحال ، واعمال المطي الى القبور ، وذكر

أنه سماه « شن الغارة على من أنكر سفر الزيارة » ثم زعم أنه اختار أن يسميه « شفاء السقام في زياره خير الأنام » فوجدته كتاباً مشتملاً على تصحيح الأحاديث الضعيفة والموضوعة ، وتقوية الآثار الواهية والمكذوبة، وعلى تضعيف الأحاديث الصحيحة الثابتة ، والآثار القوية المقبولة ، أو تحريفها عن مواضعها ، وصرفها عن ظواهرها بالتأويلات المستنكرة المردودة ، ورأيت مؤلف هذا الكتاب رجلاً مارياً ، معجباً برأيه ، متبعاً هواه ، ذاهباً في كثير مما يعتقده الى الأقوال الشاذة ، والآراء الساقطة ، صائراً في أشياء مما يعتمده ، الى الشبه المخيلة ، والحجج الداحضة ، وربما خرق الاجماع في مواضع لم يسبق اليها ، ولم يوافقه أحد من الأئمة عليها ، وهو في الجملة لون عجيب، ونبأ غريب ، تارة يسلك فيما ينصره ويقويه مسلك المجتهدين ، فيكون مخطئاً في ذلك الاجتهاد ، ومرة يزعم فيما يقوله ويدعيه أنه من جملة المقلدين فيكون من قلده مخطئاً في ذلك الاعتقاد ، ونسأل الله سبحانه أن يلهمنا رشدنا ، ويرزقنا الهداية والسداد ، هذا مع أنه إن ذكر حديثاً مرفوعاً أو أثراً موقوفاً وهو غير ثابت ، قبله اذا كان موافقاً لهواه ، وان كان ثابتاً رده ، اما بتأويل أو غيره اذا كان مخالفاً لهواه . وان نقل عن بعض الأئمة الأعلام كمالك أو غيره مايوافق رأيه ، قبله،وان كان مطعوناً فيه غير صحيح عنه . وان كان مما يخالف رأيه ، رده ولم يقبله وان كان صحيحاً ثابتاً عنه ، وان حكى شيئاً مما يتعلق بالكلام على الحديث وأحوال الرواة عن أحد من أئمة الجرح والتعديل ، كالامام أحمد بن حنبل ، وأبي حاتم الرازي ، وأبي حاتم ابن حبان البستي ، وأبي جعفر العقيلي ، وأبي أحمد ابن عدي ، وأبي عبدالله الحاكم صاحب « المستدرك » وأبي بكر البيهقي وغيرهم من

لحفاظ وكان مخالفاً لما ذهب اليه ، لم يقبل قوله ، ورده عليه ، وناقشه فيه وان كان ذلك الامام قد أصاب في ذلك القول ، ووافقه غيره من الأئمة عليه ، وإن كان موافقاً لما صار اليه ، تلقاه بالقبول ، واحتج به ، واعتمد عليه ، وان كان ذلك الامام قد خولف في ذلك القول ولم يتابعه غيره من الأئمة عليه ، وهذا هو عين الجور والظلم ، وعدم القيام بالقسط . نسأل الله تعالى التوفيق ، ونعوذ به من الخذلان ، واتباع الهوى . هذا مع أنه حمله إعجابه برأيه ، وغلبة اتباع هواه ، على أن نسب سوء الفهم والغلط في النقل الى جماعة من العلماء الأعلام المعتمد عليهم في حكاية مذاهب الفقهاء واختلافهم وتحقيق معرفة الأحكام ، حتى زعم أن مانقله الشيخ أبو زكريا النووي في « شرح مسلم » عن الشيخ أبي محمد الجويني ، من النهي عن شد الرحال وإعمال المطي الى غير المساجد الثلاثة ، كالذهاب الى قبور الأنبياء والصالحين ، والى المواضع الفاضلة ونحو ذلك ، هو مما غلط فيه الشيخ أبي محمد ، أو أن ذلك مما وقع منه على سبيل السهو والغفلة . قال : ولو قاله هو ، يعني الشيخ أبا محمد ، أو غيره ممن يقبل كلامه الغلط ، لحكمنا بغلطه ، وأنه لم يفهم مقصود الحديث ، فانظر الى كلام هذا المعترض المتضمن لرد النقل الصحيح بالرأي الفاسد ، واجمع بينه وبين ماحكاه عن شيخ الاسلام من الافتراء العظيم ، والافك المبين ، والكذب الصراح ، وهو مانقله عنه من أنه جعل زيارة قبر النبي ﷺ ، وقبور سائر الانبياء عليهم السلام ، معصية بالاجماع ، مقطوعاً بها ، هكذا ذكر هذا المعترض عن بعض قضاة الشافعية عن الشيخ أنه قال هذا القول الذي لايشك عاقل من أصحابه وغير أصحابه أنه كذب مفترى ، لم يقله قط ، ولا يوجد في شيء من كتبه ، ولأول كلامه عليه ، بل كتبه كلها ، ومناسكه ، وفتاويه ، وأقواله ، وأفعاله

تشهد ببطلان هذا النقل عنه، ومن له أدنى علم وبصيرة ، يقطع بأن هذا مفتعل مختلق على الشيخ ، وأنه لم يقله قط . وقد قال الله تعالى (يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على مافعلتم نادمين) الحجرات : ٦ وهذا المعترض يعلم أن مانقله عن القاضي المشهور بما لاأحب حكايته عنه في هذا المقام عن شيخ الاسلام من هذا الكلام ، كذب مفترى ، لايرتاب فى ذلك ، ولكن يطفف ويداهن ، ويقول بلسانه ماليس في قلبه . ولقد أخبرني الثقة أنه ألف هذا الكتاب لما كان بمصر قبل أن يلي القضاء بالشام بمدة كثيرة ، ليتقرب به الى القاضي الذي حكى عنه هذا الكذب ، ويحظى لديه ، فخاب أمله ، ولم يتفق عنده ، وقد كان هذا القاضي الذي جمع المعترض كتابه لأجنه من أعداء الشيخ المشهورين . وقدزعم هذا المعترض أيضاً مع هذا الأمر الفظيع الذي ارتكبه من التكذيب بالصدق ، والتصديق بالكذب ، أن الفتاوي المشهورة التي أجاب بها علماء اهل بغداد ، موافقة للشيخ ، مختلقة موضوعة ، وضعها بعض الشياطين ، هكذا زعم ، مع علم العام والخاص بأن هذه الفتاوي مما شاع خبرها وذاع ، واشتهر امرها وانتشر ، وهي صحيحة ثابتة متواترة عمن أفتى بها من العلماء ، وقد رأيت أنا وغيري خطوطهم بها... الى ان قال : وليعلم قبل الشروع في الكلام مع هذا المعترض ، أن شيخ الاسلام رحمه الله تعالى ، لم يحرم زيارة القبور على الوجه المشروع في شيء من كتبه ، ولم ينه عنها ، ولم يكرهها ، بل استحبها ، وحض عليها ، ومصنفاته ومناسكه طافحة بذكر استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور .

قال رحمه الله تعالى في بعض مناسكه : باب زيارة قبر النبي ﷺ إذا أشرف على مدينة النبي ﷺ قبل الحج أو بعده ، فليقل ماتقدم ، فاذا

دخل استحب له أن يغتسل ، نص عليه الامام أحمد ، فاذا دخل المسجد بدأ برجله اليمنى ، وقـــال : بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم اغفر لي ذنوبي ، وافتح لي أبواب رحمتك . ثم يأتي الروضة بين القبر والمنبر فيصلي بها ويدعو بما شاء ، ثم يأتي قبر النبي ﷺ ، فيستقبل جـدار القبر ، ولا يمسه ، ولا يقبله ، ويجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه ، ليكون قائماً وجاه النبي ﷺ ، ويقف متباعداً كما يقف لو ظهر في حيـاته بخشوع وسكون ، منكسر الرأس ، غاض الطرف ، مستحضراً بقلبه جلالة موقفه ، ثم يقول : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته ، السلام عليك يانبي الله وخيرته من خلقه ، السلام عليك ياسيد المرسلين وخاتم النبيين وقائد الغر المحجلين ، أشهد أن لاإله الا الله ، وأشهد أنك رسول الله ، أشهد أنك قد بلغت رسالات ربك ، ونصحت لأمتك ، ودعوت الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ، وعبدت الله حتى أتاك اليقين ، فجزاك الله أفضل ماجزى نبياً ورسولاً عن أمته ، اللهم آته الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقـاماً محموداً الذي وعدته ، يغبطه به الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم ، انك حميـد مجيد ، اللهم احشرنا في زمرته ، وتوفنا على سنته ، وأوردنا حوضه ، واسقنا بكأسه مشرباً روياً لانظمأ بعده أبداً . ثم يأتي أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ، فيقول : السلام عليك ياأبا بكر الصديق ، السلام عليك ياعمر الفاروق ، السلام عليكما ياصاحبي رسول الله ﷺ وضجيعيه ورحمة الله وبركاته ، جزاكما الله تعالى عن صحبة نبيكما وعن الاسلام خيراً ، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار .

قـــال : ويزور قبور أهل البقيع ، وقبور الشهداء إن أمكن . هذا كلام الشيخ بحروفه ، وكذلك سائر كتبه ذكر فيها استحباب زيارة قبر النبي ﷺ ، وسائر القبور ، ولم ينكر زيارتها في موضع من المواضع ، ولا ذكر في ذلك خلافاً ، الا نقلاً غريباً ذكره في بعض كتبه عن بعض التابعين . وانما تكلم في مسألة شد الرحـــال واعمال المطي الى مجرد زيارة القبور ، وذكر في ذلك قولين للعلماء المتقدمين والمتأخرين : أحدهما : القول بإباحة ذلك ، كما يقوله بعض أصحاب الشافعي ، وأحمد . والثاني : أنه منهي عنه ، كما نص عليه إمـــام دار الهجرة مالك بن أنس ، ولم ينقل عن الأئمة الثلاثة خلافه ، وإليه ذهب جماعة من أصحاب الشافعي وأحمد . هكذا ذكر الشيخ الخلاف في شد الرحـــال واعمال المطي الى القبور ، ولم يذكره في الزيارة الخالية عن شد رحل ، واعمال مطي ، والسفر الى زيارة القبور مسألة ، وزيارتها من غير سفر مسألة أخرى ، ومن خلط هذه المسألة بهذه المسألة وجعلها مسألة واحدة ، وحكم عليها بحكم واحد ، وأخذ في التشنيع على من فرق بينهما ، وبالغ في التنفير عنه ، فقد حرم التوفيق ، وحـاد عن سواء الطريق . واحتج الشيخ لمن قال بمنع شد الرحل بالحديث المشهور المتفق على صحته ، من حديث أبي هريرة ، وأبي سعيد الخدري ، بحديث « لاتشد الرحـال الا الى ثلاثة مساجد ، مسجدي هذا ، والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى » هذا هو الذي نقله الشيخ رحمه الله تعالى ، حكى الخلاف في مسألة بين العلماء ، واحتج لأحد القولين بحديث متفق على صحته ، فأي عتب عليه في ذلك ؟ ! ولكن نعوذ بالله تعالى من الحسد ، والبغي ، واتباع الهوى ، والله سبحانه المسؤول أن يوفقنا واخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من العمل الصالح ، والقول الجميل ، فانه يقول الحق ويهدي السبيل . انتهى .

وهذا الذي ذكرناه شرح لما تضمنته هذه الأبيات التي تقدمت والله أعلم .

قـــوله : من بعد مكة أو على الاطلاق الخ . هذه المسألة فيها خلاف مشهور بين العلماء فذهب أبو حنيفة ، والشافعي ، وأحمد في احدى الروايتين ، إلى أن مكة أفضل ؛ وذهب مـــالك الى أن المدينة أفضل ، وهو الرواية الثـــانية عن أحمد ، واحتج من فضل مكة بما رواه عبد الله بن عدي بن الحمراء أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة « والله انك لخير ارض الله وأحب أرض الله الى الله ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ماخرجت » رواه أحمد ، والنسائي ، وابن ماجه ، والترمذي وقال : حسن صحيح . واحتجوا أيضاً بأن مضاعفة الصلاة فيها أكثر . وأما الحديث المروي « اللهم إنهم أخرجوني من أحب البقاع الي ؛ فأسكني أحب البقاع اليك » فهو حديث لا يعرف .

قـال شيخ الاسلام : هو حديث موضوع كذب ، لم يروه أحد من أهل العلم .

واحتج من فضل المدينة بأخبار صحيحه تدل على فضلها ، لا على فضليتها على مكة ، والله أعلم .

وقول الناظم رحمه الله : ونراه عند النذر فرضاً الخ . . اعلم أن العلماء اختلفوا فيمن نذر طاعة بشرط يرجوه ؛ كأن شفى الله مريضي فعلي أن أتصدق بكذا ، ونحو ذلك ، فذهب جمهور العلماء إلى أنه يجب الوفاء بكل طاعة . وحكي عن أبي حنيفة أنه لا يجب الوفاء الا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم . أما ماليس كذلك ، كالاعتكاف ، فلا يوجب الوفـاء به . وحجة الجمهور قوله ﷺ « من نذر أن يطيـع الله فليطعه » رواه البخاري . والله علم .

فصل

في تعيين ان اتباع السنة والقرآن طريق للنجاة من النيران

بامن يريد نجاته يوم الحسا ب من الجحيم وموقد النيران
اتبع رسول الله في الأقوال والـ ـأعمال لاتخرج عن القرآن
وخذ الصحيحين اللذين هما لعقـ ـد الدين والإيمان واسطتان
واقرأهما بعد التجرد من هوى وتعصب وحمية الشيطان
واجعلهما حكماً ولاتحكم على مافيهما أصلاً بقول فلان
واجعل مقالته كبعض مقالة الـ ـأشياخ تنصرها بكل أوان
وانصر مقالته كنصرك للذي قلدته من غير مابرهان
قدر رسول الله عندك وحده والقول منه اليك ذو التبيان
ماذا ترى فرضاً عليك معيناً ان كنت ذا عقل وذا إيمان
عرض الذي قالوا على أقواله أوعكس ذاك فذلك الامران
هي مفرق الطرقات بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان
قدر مقالات العباد جميعهم عدماً وراجع مطلع الإيمان
واجعل جلوسك بين صحب محمد وتلق معهم غنه بالإحسان

وتلق عنهم ماتلقوه هم عنه من الإيمان والعرفان
أفليس في هذا بلاغ مسافر يبغي الإله وجنة الحيوان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في الوصية بما ينجي يوم الحساب من العذاب والنار ، وبين أن ذلك يكون باتباع رسول الله ﷺ في الأقوال والأعمال ، كما قال تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) آل عمران : ٣١ ثم حث على لزوم « الصحيحين » أي : « صحيح البخاري » و « مسلم » واتخاذهما حكماً ، فيحكم بهما ، ولا يحكم عليهما ، وذلك بعد أن تتجرد من الهوى والتعصب والحمية . قال : واجعل مقالته كبعض مقالات الأشياخ ، أي : اجعل مقالته ﷺ كبعض مقالات الأشياخ التي ينصرها المقلدون بكل أوان ، وكنصرك للذي قلدته من غير برهان ، الذي غاية أقواله أن تكون سائغه الاتباع . وأما أقوال الرسول ﷺ ، فهي واجبة الاتباع ، كما قال تعالى (فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ...) الآية النساء : ٦٥ ثم قال : قدر رسول الله عندك وأنت تسمع كلامه منه بلا واسطة ، فهل ترى فرضاً عليك عرض أقواله على أقوال من قلدته ، أو عكس ذلك ؟ أي : عرض أقوالهم على أقواله ، وهذان الأمران هما مفرق الطرق بين طريقنا وطريق أهل الزيغ والعدوان .

قوله : قدر مقالات العباد جميعهم عدماً الخ . أي : قدر عدم مقالات العباد ، ثم راجع مطلع الايمان ، أي : الكتاب والسنة ، وقدر نفسك جالساً بين صحب محمد ﷺ وأنت تسمع منه ، فاذا كان فرض عليك اتباع ماجاء به ﷺ ، وعرض كلام الناس على كلامه لو كنت حاضراً بين يديه ، فما الذي أسقط هذا الفرض عنك وأنت تسمع كتابه الذي جاء به ، وسنته الصحيحة الصريحة غضة طرية :

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لولا التنافس بين هذا الخلق ما كان التفرق قط في الحسبان
فالرب رب واحد وكتابه حق وفهم الحق منه دان
ورسوله قد أوضح الحق المبـــين بغاية الإيضاح والتبيان
ماثم أوضح من عبارته فلا يحتاج سامعها الى تبيان
والنصح منه فوق كل نصيحة والعلم مأخوذ عن الرحمن
فلأي شيء يعدل الباغي الهدى عن قوله لولا عمى الخذلان؟!
فالنقل عنه مصدق والقول من ذي عصمة ماعندنا قولان
والعكس عند سواه في الأمرين يا من يهتدي هل يستوي النقلان؟!
تالله قد لاح الصباح لمن له عينان نحو الفجر ناظرتان
وأخو العماية في عمايته يقو ل الليل بعد أيستوي الرجلان؟
تالله قد رفعت لك الأعلام ان كنت المشمر نلت دار أمان
وإذا جنيت وكنت كسلاناً فما حرم الوصول اليه غير جبان
فاقدم وعد بالوصل نفسك واهجر الـمقطوع منه قاطع الانسان
عن نيل مقصده فذاك عدوه ولو انه منه القريب الداني

ذكر الناظم في هذه الأبيات ، أنه لولا التنافس بين هذا الخلق ، لم يوجد التفرق ، وذلك أن الرب سبحانه واحد ، وكتابه واحد ، وفهمه يسير ، والرسول ﷺ قد أوضح الحق بغاية الايضاح ، فلا عبارة أوضح من عبارته ،

ولا نصح فوق نصحه ، وعلمه مأخوذ عن الله تعالى ، فعدول الباغي عن ذلك هو عين الخذلان ، ثم ذكر أن عكس الأمرين عند غيره ، وقد لاح الصباح لذي عينين ، وأخو العماية في عماية جهله ، نعوذ بالله من العمى .

فصل

في تيسير السير الى الله على المثبتين الموحدين وامتناعه على المعطلين والمشركين

ياقاعداً سارت به أنفاسه سير البريد وليس بالذملان

قال في « القاموس » : الذميل كأمير : السير اللين ماكان ، أو فوق العنق ، ذمل يذمِل ويذُمل ذملاً وذمولا ، وذميلا ، وذملاناً . وناقة ذمول ، من ذمل .

حتى متى هذا الرقاد وقد سرى وفد المحبة مع أولي الاحسان

وحدت بهم عزماتهم نحو العلى لاحادي الركبان والاظعان

قوله : وحدت بهم عزماتهم الخ . قال في « القاموس » : حدا الإبل حدواً ، وحداء : زجرها وساقها . انتهى .

ركبوا العزائم واعتلوا بظهورها وسروا فما حنوا الى نعمان

ساروا رويداً ثم جاؤوا أولا سير الدليل يؤم بالركبان

ساروا باثبات الصفات اليه لا التعطيل والتحريف والنكران

عرفوه بالأوصاف فامتلأت قلو بهم له بالحب والإيمان
فتطايرت تلك القلوب اليه بالـــأشواق إذ ملئت من العرفان
وأشدهم حباً له أدراهمُ بصفاته وحقائق القرآن
فالحب يتبع للشعور بحسبه يقوى ويضعف ذاك ذو تبيان
ولذاك كان العارفون صفاته أحبابه هم أهل هذا الشان
ولذاك كان العالمون بربهم أحبابه وبشرعة الإيمان
ولذاك كان المنكرون لها هم الـــأعداء حقاً هم أولو الشنآن
ولذاك كان الجاهلون بذا وذا بغضاءه حقاً ذوي شنآن
وحياة قلب العبد في شيئين من يرزقهما يحيى مدى الأزمان
في هذه الدنيا وفي الأخرى يكو ن الحي ذا الرضوان والإحسان
ذكر الإله وحبه من غير اشـــراك به وهما فممتنعان
من صاحب التعطيل حقاً كامتنا ع الطائر المقصوص من طيران
أيحبه من كان ينكر وصفه وعلوه وكلامه بقران
لا والذي حقاً على العرش استوى متكلماً بالوحي والفرقان
الله أكبر ذاك فضل الله يؤ تيه لمن يرضى بلا حسبان
وترى المخلف في الديار تقول ذا إحدى الأثا في خص بالحرمان
الله أكبر ذاك عدل الله يقـــضيه على من شاء من إنسان

وله على هذا وهذا الحمد في الـــأولى وفي الأخرى هما حمدان

حمد لذات الرب جل جلاله وكذاك حمد العدل والإحسان

يامن تعز عليهمُ أرواحهم ويرون غبنا بيعها بهوان

ويرون خساراناً مبيناً بيعها في إثر كل قبيحة ومهان

ويرون ميدان التسابق بارزاً فيتاركون تقحم الميدان

وبرون أنفاس العباد عليهمُ قد أحصيت بالعد والحسبان

ويرون أن أمامهم يوم اللقا لله مسئلتان شاملتان

مـــاذا عبدتم ثم ماذا قد أجبتم من أتى بالحق والبرهان

هاتوا جواباً للسؤال وهيئوا أيضاً صواباً للجواب يداني

وتيقنوا ان ليس ينجيكم سوى تجريدكم لحقائق الإيمان

يشير إلى الحديث، وهو قوله ﷺ « كلمتان يسأل عنهما الأولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون ؟ وماذا أجبتم المرسلين ؟ »

تجريدكم توحيده سبحانه عن شركة الشيطان والأوثان

وكذاك تجريد اتباع رسوله عن هذه الآراء والهذيان

والله ماينجي الفتى من ربه شيء سوى هذا بلا روغان

يارب جرد عبدك المسكين را جي الفضل منك أضعف العبدان

لم تنسه وذكرته فاجعله لا ينساك أنت بدأت بالإحسان

وبه ختمت فكنت أولى بالجميـــل وبالثناء من الجهول الجاني

فالعبد ليس يضيع بين فواتح وخواتم من فضل ذي الغفران

أنت العليم به وقد أنشأته من تربة هي أضعف الاركان

كل عليها قد علا وهوت الى تحت الجميع بذلة وهوان

وعلت عليها النار حتى ظن أن يعلو عليها الخلق من نيران

وأتى إلى الابوين ظناً أنه سيصيّر الأبوين تحت دخان

فسعت الى الأبوين رحمتك التي وسعتهما فعلاً بك الأبوان

هذا ونحن بنوهما وحلومنا في جنب حلمهما لدى الميزان

جزء يسير والعدو فواحد لهما وأعدانا بلا حسبان

والضعف مستول علينا من جمـــيع جهاتنا سيماً من الإيمـــان

قـــوله : من تربة هي أضعف الأركان ، أي : إن الانسان مخلوق من تراب .

قوله : أضعف الأركان ، أي : الأركان الأربعة ، وهي الماء ، والهواء ، والنار ، والتراب .

قوله : وعلت عليها النار الخ . يعني قوله تعـالى عن ابليس اللعين (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) الأعراف : ١٢

قوله : هذا ونحن بنوهما الخ . يعني أن عقولنا في جنب عقلها جزء يسير ، وعدوهما واحد ، وأعداؤنا بلا حسبان .

يارب معذرة اليك فلم يكن قصد العباد ركوب ذا العصيان

لكن نفوس سوّلته وغرها هذا العدو لها غرور أمان
فتيقنت يارب أنك واسع الـــغفران ذو فضل وذو إحسان
ومقالنا ماقاله الأبوان قبـــل مقالة العبد الظلوم الجاني
نحن الألى ظلموا وإن لم تغفر الـــذنب العظيم فنحن ذو خسران
يارب فانصرنا على الشيطان ليـــس لنا به لولا حماك يدان

فصل

في ظهور الفرق بين الطائفتين وعدم التباسه الا على من ليس بذي عينين

والفرق بينكم وبين خصومكم من كل وجه ثابت ببيان
ماأنتم منهم ولا هم منكم شتان بين السعد والدبران
فاذا دعونا للقران دعوتم للرأي أين الرأي من قرآن
وإذا دعونا للحديث دعوتم أنتم الى تقليد قول فلان
وكذا تلقينا نصوص نبينا بقبولها بالحق والاذعان
من غير تحريف ولا جحدولا تفويض ذي جهل بلا عرفان
لكن باعراض وتجهيل وتأ ويل تلقيتم مع النكران
أنكرتموها جهدكم فاذا أتى ما لاسبيل له الى نكران

أعرضتم عنه ولم تستنبطوا منه هدى لحقائق الإيمان
فاذا ابتليتم مكرهين بسمعها فوضتموها لاعلى العرفان
لكن بجهل للذي سيقت له تفويض اعراض وجهل معان
فاذا ابتليتم باحتجاج خصومكم أوليتموها دفع ذي صولان
فالجحد والاعراض والتأويل والـ ـتجهيل حظ النص عند الجاني
لكن لدينا حظه التسليم مع حسن القبول وفهم ذي الإحسان

فصل

في التفاوت بين حظ المثبتين والمعطلين من وحي رب العالمين

ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ونصيبكم منه المجاز الثاني
وقواطع الوحيين شاهدة لنا وعليكم هل يستوي الأمران
وأدلة المعقول شاهدة لنا أيضاً فقاضونا الى البرهان
وكذاك فطرة ربنا الرحمن شا هدة لنا أيضاً شهود بيان
وكذاك إجماع الصحابة والألى تبعوهم بالعلم والاحسان
وكذاك إجماع الأئمة بعدهم هذا كلامهم بكل مكان
هذي الشهود فهل لديكم أنتم من شاهد بالنفي والنكران

وجنودنا من قد تقدم ذكرهم وجنودكم فعساكر الشيطان

وهي قواطع الوحيين ، وأدله المعقول والفطرة ، واجماع الصحابة والتابعين والأئمة .

وخيامنا مضروبة بشاعر الـ ـوحيين من خبر ومن قرآن

وخيامكم مضروبة بالتيه فالسكان كل ملدد حيران

هذي شهادتهم على محصولهم عند الممات وقولهم بلسان

يعني الناظم رحمه الله ماتقدم عن بعض المتكلمين أنه قال عند موته : لقد خضت البحر الخضم ، وتركت أهل الاسلام وعلومهم ، وخضت في الذي نهوني عنه ، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته ، وإلا فالويل لفلان ، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي . وقال آخر : اكثر الناس شكاً عند الموت أصحاب الكلام . وقال آخر عند موته : أموت وما علمت شيئاً ، إلا أن الممكن يفتقر الى واجب ، ثم قال : الافتقار وصف عدمي ، أموت وما علمت شيئاً ،

والله يشهد أنهم أيضاً كذا تكفي شهادة ربنا الرحمن

ولنا المسانيد الصحاح وهذه السـ ـنن التي نابت عن القرآن

ولكم تصانيف الكلام وهذه الـ ـآراء وهي كثيرة الهذيان

شبه يكسر بعضها بعضا كبيـ ـت من زجاج خر للأركان

هو مأخوذ من قول القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

قال الناظم رحمه الله تعالى :

هل ثم شيء غير رأي أو كلا م باطل أو منطق اليونان

ونقول قال الله قال رسوله في كل تصنيف وكل مكان

لكن تقولوا[1] قال آرسطو وقا ل ابن الخطيب وقال ذو العرفان

ابن الخطيب ، هو الفخر الرازي .

شيخ لكم يدعى ابن سينا لم يكن متقيداً بالدين والإيمان

وخيار ما تأتون قال الاشعريّ وتشهدون عليه بالبهتان

أي : خيار ماتقولون قال الأشعري : وقد خالفتموه عين المخالفة ، فانه يقول باثبات العلو والاستواء ، ويقول باثبات الصفات الخبرية ، وليس له في ذلك قولان ، ومع ذلك خالفتموه في نفي العلو والصفات ، تعالى الله عما يقول المعطلة علواً كبيراً .

فالأشعري مقرر لعلو رب العرش فوق جميع ذي الأكوان

في غاية التقرير بالمعقول والـ ـمنقول ثم بفطرة الرحمن

هذا ونحن فتاركوا الآراء للنـ ـقل الصحيح ومحكم الفرقان

لكنكم بالعكس قد صرحتم ووضعتم القانون ذا البهتان

أي : نحن نترك الآراء للنقل الصحيح ، وأنتم صرحتم بالعكس ، وأعددتم لدفع النصوص ضروباً من العدد ، وأنواعاً من القوانين .

والنفي عندكم على التفصيل والـ ـاثبات إجمالاً بلا نكران

(١) كذا الأصل بحذف النون من (تقولوا) والاصل أن يقول (تقولون) ولكن حذف النون لضرورة الشعر .

والمثبتون طريقهم نفي على الـــ إجمال والتفصيل بالتبيان
فتدبروا القرآن مع من منكما وشهادة المبعوث بالفرقان
وعرضتم قول الرسول على الذي قال الشيوخ ومحكم القرآن
فالمحكم النصّ الموافق قولهم لايقبل التأويل في الأذهان
لكنما النص المخالف قولهم متشابه متأول بمعـــان

أي : إن أهل التأويل عرضوا كتاب الله وسنة رسوله على ماقاله شيوخهم، وجعلوا النص الموافق لقولهم محكماً لايقبل التأويل، أما النص المخالف لقولهم، فهو عندهم متشابه محتمل لعدة معان .

وإذ تأدبتم تقولوا[1] مشكل أفواضح ياقوم رأي فلان ؟
والله لو كان الموافق لم يكن متشابهاً متأولاً بلسان
لكن عرضنا نحن أقوال الشيو خ على الذي جاءت به الوحيان
ما خالف النصين لم نعبأ به شيئاً وقلنا حسبنا النصان

قوله : والله لو كان النص موافقاً لقولكم لم يكن متشابهاً عندكم متأولاً بعدة من التأويلات .

قوله : لكن عرضنا نحن أقـــوال الشيوخ الخ . أي : إن قولنا عكس قولكم ، وذلك أنا عرضنا أقوال الشيوخ على الكتاب والسنة ، فما وافقهما قبلنا ، وما خالفهما لم نعبأ به شيئاً ، وقلنا حسبنا كتاب الله وسنة رسوله .

والمشكل القول المخالف عندنا في غاية الاشكال لا التبيان

(١) وكذلك حذف النون لضرورة الشعر .

والعزل والابقاء مرجعه الى الـــ آراء عندكم بلا كتمان
لكن لدينا ذاك مرجعه الى قول الرسول ومحكم القرآن
والكفر والاسلام عين خلافه ووفاقه لاغير بالبرهان
والكفر عندكم خلاف شيوخكم ووفاقهم فحقيقة الايمان
هذي سبيلكم وتلك سبيلنا والموعد الرحمن بعد زمان
وهناك يعلم أى حزبينا على الـــحق الصريح وفطرة الديان
فاصبر قليلاً انما هي ساعة فاذا أصبت ففي رضى الرحمن
فالقوم مثلك يألمون ويصبرو ن وصبرهم في طاعة الشيطان

فصل

في بيان الاستغناء بالوحي المنزل من السماء عن تقليد الرجال والآراء

ياطالب الحق المبين ومؤثراً علم اليقين وصحة الايمان
اسمع مقالة ناصح خبر الذي عند الورى مذ شب حتى الآن
مازال مذ عقدت يداه إزاره قد شد مئزرة الى الرحمن
وتخلل الفترات للعزمات امـــر لازم لطبيعة الانسان
وتولد النقصان من فتراته أوليس سائرنا بني النقصان ؟!

طاف المداهب يبتغي نوراً ليهـــديه وينجيه من النيران
وكأنه قد طاف يبغي ظلمة الليـــل البهيم ومذهب الحيران
والليـــل لايزداد إلا قوة والصبح مقهور بذا السلطان
حتى بدت في سيره نار على طود المدينة مطلع الايمان
فأتى ليقبسها فلم يمكنه مع تلك القيود منالها بأمان
لولا تداركه الاله بلطفه ولّى على العقبين ذا نكصان
لكن توقف خاضعاً متذللاً مستشعر الافلاس من أثمان
فأتاه جند حل عند قيوده فامتد حينئذ له الباعـان
والله لولا ان تحل قيوده وتزول عنه ربقة الشيطان
كان الرقي الى الثريا مصعدا من دون تلك النار في الامكان
فرأى بتلك النار آطام المدينـــة كالخيام تشوفها العينان
ورأى على طرقاتها الأعلام قد نصبت لاجل السالك الحيران
ورأى هنالك كل هاد مهتد يدعو الى الإيمان والإيقان
فهناك هنّا نفسه متذكراً ما قاله المشتاق منذ زمان
والمستهام على المحبة لم يزل حاشا لذكراكم من النسيان
لو قيل ما تهوى لقال مبادراً أهوى زيارتكم على الأجفان

تالله ان سمح الزمان بقربكم وحللت منكم بالمحل الداني
لأعفرن الخد شكراً في الثرى ولأكحلن بتربكم أجفاني

يخبر الناظم عما حصل له في سيره الى الله جلا وعلا ؛ وأنه طاف المذاهب يبتغي نوراً ليهتدي به ، وينجو به من النيران ، وأنه لم يحصل له في طوافه ذلك الا الظلمة والحيرة ، ومع امعانه في ذلك والظلمة تزيد والحيرة تقوى ، حتى بدت له أنوار الهدى من الكتاب والسنة ، وكنى عن ذلك بقوله : حتى بدت له في سيره نار على طود المدينة ، فأتى ليقبسها فلم يمكنه ذلك مع تلك القيود التي توهن الانقياد ، فلولا أن الله سبحانه تداركه بلطفه ، لرجع ونكص على عقبيه ، فلما جاءه ذلك اللطف الالهي ، انحلت قيوده ، وسار الى الله مقتدياً بأنوار الكتاب والسنة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ان رمت تبصر ما ذكرت فغض طر فاً عن سوى الآثار والقرآن
واترك رسوم الخلق لا تعبأ بها في السعد ما يغنيك عن دبران
حدّق بقلبك في النصوص كمثل ما قد حدق وافي الرأي طول زمان
واكحل جفون القلب بالوحيين واحـذر كحلهم يا كثرة العميان
فالله بيّن فيهما طرق الهدى لعباده في أحسن التبيان
لم يحوج الله الخلائق معهما لخيال فلتان ورأي فلان
فالوحي كاف للذي يعنى به شاف لداء جهالة الانسان
وتفاوت العلماء في أفهامهم للوحي فوق تفاوت الأبدان

والجهل داء قاتل وشفاؤه أمران في التركيب متفقان
نص من القرآن أو من سنة وطبيب ذاك العالم الرباني
والعلم أقسام ثلاث مالها من رابع والحق ذو تبيان
علم بأوصاف الإله وفعله وكذلك الأسماء للرحمن
والأمر والنهي الذي هو دينه وجزاؤه يوم المعاد الثاني
والكل في القرآن والسنن التي جاءت عن المبعوث بالفرقان
والله ما قال امرؤ متحذلق بسواهما الا من الهذيان

قال في « القاموس » حذلق : أظهر الحذق ، أو ادعى أكثر مما عنده ، كتحذلق . انتهى .

يعني أن العلم ثلاثة أقسام : أولها : العلم بصفات الرب ، وأفعاله ، وأسمائه . والثاني : علم الأمر والنهي . والثالث : علم المعاد ، والكل في القرآن والسنة .

قوله : بسواهما . يعني الكتاب والسنة .

ان قلتم تقريره فمقرر بأتم تقرير من الرحمن
أو قلتم إيضاحه فمبين بأتم ايضاح وخير بيان
أو قلتم إيجازه فهو الذي في غاية الايجاز والتبيان
أو قلتم معناه هذا فاقصدوا معنى الخطاب بعينه وعيان
او قلتم نحن التراجم فاقصدوا المعنى بلا شطط ولانقصان
أو قلتم بخلافه فكلامكم في غاية الانكار والبطلان

أو قلتم قسنا عليه نظيره فقياسكم نوعان مختلفان

نوع يخالف نصه فهو المحا ل وذاك عند الله ذو بطلان

وكلامنا فيه وليس كلامنا في غيره أعني القياس الثاني

ما لا يخالف نصه فالناس قد عملوا به في سائر الأحيان

لكنه عند الضرورة لا يصا ر إليه إلا بعد ذا الفقدان

هذا جواب الشافعي لأحمد لله درك من امام زمان

والله ما اضطر العباد إليه فيـــما بينهم من حادث بزمان

قال الناظم رحمه الله تعالى في « أعلام الموقعين » بعد أن ذكر أن فتوى الامام أحمد رحمه الله تعالى تدور على خمسة أصول : الأصل الرابع من أصول الامام أحمد : الأخذ بالمرسل والحديث الضعيف اذا لم يكن في الباب شيء يدفعه ، وهو الذي رجحه على القياس، وليس المراد بالضعيف عنده الباطل، ولا المنكر ، ولا ما في رواته متهم بحيث لا يسوغ الذهاب اليه والعمل به ، بل الحـــديث الضعيف عنده قسيم الصحيح ، وقسم من أقسام الحسن ، ولم يكن يقسم الحديث الى صحيح وحسن وضعيف ، بل الى صحيح وضعيف . والضعيف عنده مراتب ، فاذا لم يجد في الباب أثراً يدفعه ، ولا قول صاحب ، ولا إجماعاً على خلافه ، كان العمل به عنده أولى من القياس، وليس أحد من الأئمة إلا وهو موافق على هذا الأصل من حيث الجملة ، فانه مامنهم أحد الا وقد قدم الحديث الضعيف على القيـاس ، فقدم أبو حنيفة حديث القهقهة في الصلاة على محض القياس ، وأجمع أهل الحديث على ضعفه ، وقدم حديث الوضوء بنبيذ التمر على القياس ، وأكثر أهل الحديث يضعفه ، وقدم حديث أكثر الحيض عشرة أيام ، وهو ضعيف باتفـاقهم ، على محض

القياس ، فالذي تراه في الثالث عشر مساو في الحد وفي الحقيقة والصفة لدم اليوم العاشر ، وقدم حديث « لامهر أقل من عشرة دراهم » وأجمعوا على ضعفه ، بل بطلانه ، على محض القياس ، فان بذل الصداق معاوضة في مقابلة بذل البضع ، فما تراضيا عليه ، جاز قليلاً أو كثيراً . وقدم الشافعي تحريم صيد وج ، مع ضعفه ، على القياس ، وقدم خبر جواز الصلاة بمكة على ضعفه ومخالفته لقياس غيرها من البلدان ، وقدم في أحد قوليه حديث « من قاء أو رعف فليتوضأ وليبن على صلاته » على القياس مع ضعف الخبر وارساله . وأما مالك فانه يقدم الحديث المرسل ، والمنقطع والبلاغات ، وقول الصحابي على القياس ، فاذا لم يكن عند الامام أحمد في المسألة نص ، ولا قول الصحابة أو واحد منهم ، ولا أثر مرسل أو ضعيف ، عدل الى الأصل الخامس ، وهو القياس فاستعمله للضرورة . وقد قال في كتاب « الخلال » سألت الشافعي عن القياس فقال : انما يصار اليه عند الضرورة . انتهى .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فاذا رأيت النص عنه ساكتا فسكوته عفو من الرحمن

وهو المباح اباحة العفو الذي مافيه من حرج ولانكران

فأضف إلى هذا عموم اللفظ والمعنى وحسن الفهم في القرآن

فهناك تصبح في غنى وكفاية عن كل ذي رأي وذي حسبان

قال الحافظ ابن رجب في « شرح الأربعين » على قوله ﷺ « ان الله فرض فرائض فلا تضيعوها ، وحد حدوداً فلا تعتدوها .. » الحديث . قال : وأما المسكوت عنه فهو مالم يذكر جملة بتحليل ولا تحريم ، فيمكن معفواً

عنه ، لاحرج على فاعله ، وعلى هذا دلت هذه الأحاديث المذكورة هاهنا ، كحديث أبي ثعلبة الخشني وغيره ... الى أن قال : ولكن مما ينبغي أن يعلم أن ذكر الشيء بالتحريم والتحليل مما قد يخفى فهمه من نصوص الكتاب والسنة ، فان دلالة هذه النصوص قد تكون بطريق النص والتصريح ، وقد تكون بطريق العموم والشمول ، وقد تكون دلالتـــه بطريق الفحوى والتنبيه ، كما في قوله تعـالى (فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما) الاسراء : ٢٣ فان دخول ماهو أعظم من التأفيف من أنواع الأذى يكون بطريق الأولى ، ويسمى ذلك معهوم الموافقة ، وقد تكون دلالته بطريق مفهوم المخالفة ، كما في قوله ﷺ « في الغنم السائمة الزكاة » فانه يدل بمفهومه على أنه لازكاة في غير السائمة . وقد أخذ الأكثرون بذلك ، واعتبروا مفهوم المخـــالفة ، وجعلوه حجة . وقد تكون دلالته من المعنى موجوداً في غيره ، فانه يتعدى الحكم الى كل ماوجد في ذلك المعنى عند جمهور العلماء ، وهو من باب العدل والميزان الذي أنزله الله ، وأمر بالاعتبار به ، فهذا كله مما تعرف به دلالة النصوص على التحليل والتحريم ، فأما ماانتفى فيه ذلك كله ، فهنا يستدل بعدم ذكره بإيجاب أو تحريم ، على أنه معفو عنه . انتهى كلامه .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ومقدرات الذهن لم يضمن لنا تبيانها بالنص والقرآن
وهي التي فيها اعتراك الرأي من تحت العجاج وجولة الأذهان
لكن هنا أمران لو تما لما احـــتجنا إليه فحبذا الأمران
جمع النصوص وفهم معناها المرا د بلفظها والفهم مرتبتان

احداهما مدلول ذاك اللفظ وضعاً أو لزوماً ثم هذا الثاني
فيه تفاوتت الفهوم تفاوتاً لم ينضبط أبداً له طرفان
فالشيء يلزمه لوازم جمة عند الخبير به وذي العرفان
فبقدر ذاك الخبر يحصى من لوا زمه وهذا واضح التبيان

قوله : ومقدرات الذهن الخ . أي : إن الأمور التي تقدرها الأذهان كثيرة ، ولكن لم يضمن لنا تبيانها بالكتاب والسنة .

قوله : لكن هنا أمران الخ . أي : إن هذين الأمرين ، وهما جمع النصوص ، وفهم معناها ، لو تما لنا لم نحتج الى الرأي .

قوله : والفهم مرتبتان إحداهما مدلول ذاك اللفظ الخ . أي : فهم مدلول اللفظ مطابقة أو لزوماً .

قوله : ثم هذا الثاني ، وهو اللزوم ، فيه تفاوت الفهوم تفاوتاً لا ينضبط

ولذاك من عرف الكتاب حقيقة عرف الوجود جميعه ببيان
وكذاك يعرف جملة الشرع الذي يحتاجه الانسان كل زمان
علماً بتفصيل وعلماً مجملاً تفصيله أيضاً بوحي ثان
وكلاهما وحيان قد ضمنا لنا أعلى العلوم بغاية التبيان
ولذاك يعرف من صفات الله والـ أفعال والأسماء ذي الإحسان
ماليس يعرف من كتاب غيره أبداً ولا ماقالت الثقلان
وكذاك يعرف من صفات البعث بالـ تفصيل والاجمال في القرآن

مايجعل اليوم العظيم مشاهداً بالقلب كالمشهود رأي عيان
وكذاك يعرف من حقيقة نفسه وصفاتها بحقيقة العرفان
يعرف لوازمها ويعرف كونها مخـــلوقة مربوبة ببيـان
وكذاك يعرف ماالذي فيه من الـحاجات والاعدام والنقصان
وكذاك يعرف ربه و سماته أيضاً بلا مثل ولا نقصان
وهنا ثلاثة أوجه فافطن لها إن كنت ذا علم وذا عرفـان
بالضد والأولى كذا بالامتنا ع لعلمنا بالنفس والرحمـــن
فالضد معرفة الإله بضد ما في النفس من عيب ومن نقصان
وحقيقة الأولى ثبوت كماله إذ كان معطيه على الإحسان

قوله : بالضد . أي : إنه سبحانه ينزه عن العيب والنقصان ، إذ ضدهما السلامة من العيوب والنقائص ، تعالى الله وتقدس .

قوله : والأولى الخ . بفتح الهمزة أي : إنما يستعمل في حق الرب تعالى قياس الأولى ، وهو أن يقال : كل كمال ثبت للمخلوق ، فالرب سبحانه أولى به ، لأنه معطيه وواهبه ، وواهب الكمال أولى بالكمال ، وكل نقص تنزه عنه المخلوق ، فالخالق أولى بالتنزه عنه .

قـوله : بالامتناع الخ . أي بأن يقال : هذه صفة نقص ، فتمتنع على الله سبحانه .

فصل

في بيان شروط كفاية النصين والاستغناء بالوحيين

وكفاية النصين مشروط بتجـــريد التلقي عنهما لمعان
وكذاك مشروط بخلع قيودهم فقيودهم غلّ الى الأذقـان
وكذاك مشروط بهدم قواعد ماأنزلت ببيانها الوحيان
وكذاك مشروط باقدام على الـــآراء إن عريت عن البرهان
بالرد والإبطال لاتعبأ بهـــا شيئاً إذا مافاتها النصان

ذكر الناظم رحمه الله تعالى شروط كفاية النصين ، وهي ثلاثة : أحدها : تجريد التلقي عن الكتاب والسنة ، وعدم الالتفات الى غيرهما ، واتباعهما وترك ماسواهما . الثاني : خلع القيود التي توهن الانقياد كما قال شيخ الاسلام في تعظيم الأمر والنهي : هو أن لايعارضا بترخص جاف ، ولا يعارضا بتشديد غال ، ولايحملا على علة توهن الانقياد ، وذلك بأن يسلم لأمر الله وحكمته ممتثلاً ماأمر به ، سواء ظهرت له حكمته أولم تظهر ، فان ظهرت له حكمة الشرع في أمره ونهيه ، حمله ذلك على مزيد الانقياد ، والبذل والتسليم ، ولا يحمله ذلك على الانسلاخ منه وتركه ، كما حمل ذلك كثيراً من زنادقة الفقراء والمنتسبين الى التصوف . الثالث : هدم القواعد المؤسسة على الفساد ، والبطلان ، والأمور التي ماأنزل الله بها من سلطان ، العارية عن الدليل والبرهان .

لولا القواعد والقيود وهذه الـــ آراء لاتسعت عرى الايمان
لكنها والله ضيقت العرى فاحتاجت الايدي لذاك توان
وتعطلت من أجلها والله أعـــداد من النصين ذات بيان
وتضمنت تقييد مطلقها واطـــلاق المقيد وهو ذو ميزان
وتضمنت تخصيص ماعمته والـــتعميم للمخصوص بالاعيان
وتضمنت تفريق ماجمعت وجمـــعاً للذي وسمته بالفرقان
وتضمنت تضييق ماقد وسعـــته وعكسه فلتنظر الأمران
وتضمنت تحليل ماقد حرمتـــه وعكسه فلتنظر النوعان
سكتت وكان سكوتها عفواً فلم تعف القواعد باتساع بطان
وتضمنت إهدار ما اعتبرت كذا بالعكس والامران محذوران
وتضمنت ايضاً شروطاً لم تكن مشروطة شرعاً بلا برهان
وتضمنت أيضاً موانع لم تكن ممنوعة شرعاً بلا تبيان
إلا بأقيسة وآراء وتقلـــيد بلا علم ولا استحسان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان المفاسد التي حصلت من القواعد التي وضعوها ، والقيود التي قيدوا بها الكتاب والسنة ، والآراء التي خالفوا بها الكتاب والسنة ، فذكر أنه تعطلت من أجلها أعداد من النصين ، وتضمنت تقييد المطلق ، وإطلاق المقيد ، وتخصيص العموم ، وتعميم المخصوص وتفريق ماجمعت النصوص بينه ، وجمع مافرقت بينه ، وتضييق ماوسعته

وعكسه ، وتحليل ماحرمته ، وتحريم ماحللته ، وغير ذلك مما ذكره الناظم.

عمن أتت هذي القواعد من جميع الصحب والاتباع بالاحسان
ماأسسوا إلا اتباع نبيهم لاعقل فلتان ورأي فلان

قال في « القاموس » وفلتات المحسن ، هفواته وزلاته .

بل أنكروا الآراء نصحاً منهم لله والداعي وللقرآن
أو ليس في خلف بها وتناقض مادل ذالب وذا عرفان ؟!
والله لوكانت من الرحمن ماا ختلفت ولا انتقضت مدى الازمان
شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وقد سقطت على صفوان
والله لايرضى بها ذو همة علياء طالبة لهذا الشان

شرع الناظم رحمه الله تعالى في بيان أن هذه القواعد لم تأت عن أحد من الصحابة وتابعيهم باحسان ، وأن القوم ماأسسوا الا اتباع نبيهم ﷺ ، ولم يؤسسوا اتباع عقل فلان ، ورأي فلتان .

قوله : والله لو كانت من الرحمن الخ . هذا مأخوذ من قوله تعالى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) النساء : ٨٢ فالدليل على أن هذه الآراء والقواعد من عند غير الله ، كثرة اختلافها ، وتناقضها ، فلو كانت من عند الله لم تختلف ، ولم تنتقض الى آخر الدهر ، ولكنها كما قال القائل :

شبه تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكلٌ كاسر مكسور

قال الناظم :

فمثالها والله في قلب الفتى وثباتها في منبت الايمان

كالزرع ينبت حوله دغل فيمـــنعه النما فتراه ذا نقصان
وكذلك الايمان في قلب الفتى غرس من الرحمن في الانسان
والنفس تنبت حوله الشهوات والـــشبهات وهي كثيرة الأفنان
فيعود ذاك الغرس يبْساذاوياً أو ناقص الثمرات كل أوان
فتراه يحرث دائباً ومغله نزر وذا من أعظم الخسران
والله لو نكش النبات وكان ذا بصر لذاك الشوك والسعدان
لأتى كأمثال الجبال مغله ولكان أضعافاً بلا حسبان

قـــوله : نزر . أي : قليل . قال في « القاموس » النزر القليل ، كالنزير ، والمنزور .

قوله : نكش . قال في « القاموس » نكش الركية ، ينكشها ، وينكشها : أخرج مافيها من الحمأة والطين ، كانتكشها ، والشيء أفناه ، ومنه فرغ .

فصل

هذا وليس الطعن بالاطلاق فيـــها كلها فعل الجهول الجاني
بل في التي قد خالفت قول الرسو ل ومحكم الايمان والفرقان
أو في التي ماأنزل الرحمن في تقريرها ياقوم من سلطان
فهي التي كم عطلت من سـنّـة بل عطلت من محكم القرآن

هذا ونرجو أن واضعها فلا يعدوه أجرأو له أجران
اذ قال مبلغ علمه من غير ايـــجاب القبول له على انسان
بل قد نهانا عن قبول كلامه نصاً بتقليد بلا برهان
وكذاك أوصانا بتقديم النصو ص عليه من خبر ومن قرآن
نصح العباد بذا وخلّص نفسه عند السؤال لها من الديان
والخوف كل الخوف فهو على الذي ترك النصوص لأجل قول فلان
وإذا بغى الاحسان أوّلها بما لو قاله خصم له ذو شان
لرماه بالداء العضال منادياً بفساد ماقد قاله بأذان

ولما خشي الناظم رحمه الله تعالى من بعض الجهال أن يتوهم ذم الرأي مطلقاً ، دفع ذلك بقوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها الخ . أشار الى أن الرأي نوعان : مذموم ، ومحمود، فالمذموم : ماخالف الكتاب والسنة ، والمحمود : ماوافق الكتاب والسنة ، وقد بسط الكلام في ذلك بسطاً مستوفى في أول كتاب « اعلام الموقعين » وهذا معنى قوله : هذا وليس الطعن بالاطلاق فيها كلها ؛ أي : لايطعن فيها كلها وانما يطعن فيما خالف الكتاب والسنة فقط .

قوله : هذا ونرجو أن واضعها الخ ؛ أي : نرجو أن المجتهد إذا اجتهد فأخطأ فله أجر ، وإذا اجتهد فأصاب فله أجران ، كما صح في « صحيح البخاري » عن النبي ﷺ قال : « اذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران ، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » .

قوله : إذ قال مبلغ علمه الخ ؛ أي : ان الأئمة رحمهم الله تعالى قالوا بمبلغ علمهم ، ونهوا الناس عن قبول كلامهم إذا خالف النصوص ، وأوصوا بتقديم النصوص عليه ، كالامام أحمد ، والشافعي ، ومالك ، وأبي حنيفة ، وغيرهم ، فرحمة الله عليهم ، فلقد نصحوا العباد ، وخلصوا أنفسهم عند سؤال الرب تعالى لهم يوم القيامة.

قوله : والخوف كل الخوف الخ ؛ أي : ان الخوف العظيم ، والخطر الشديد على الذين تركوا النصوص لأجل قول فلان وفلان ، واذا أرادوا الاحسان أولوها بالتأويلات الباطلة ، وحملوها على الاحتمالات البعيدة ، ومع ذلك لو قال ذلك خصم لهم في تأويل كلام مشايخهم ، ومن يرضونه ، رموه بالداء العضال ، ونادوا على فساد ماقاله .

فصل

في لازم المذهب هل هو مذهب ام لا ؟

ولوازم المعنى تراد بذكره من عارف بلزومها الحقان
وسواه ليس بلازم في حقه قصد اللوازم وهي ذات بيان
اذقد يكون لزومها المجهول أو قد كان يعلمه بلا نكران
لكن عرته غفلة بلزومها اذ كان ذا سهو وذا نسيان
ولذاك لم يك لازماً لمذاهب العلماء مذهبهم بلا برهان

ذكر الناظم في هذا الفصل أن لازم المذهب ليس بمذهب .

قوله : ولوازم المعنى الخ ؛ أي : إن لوازم المعنى تراد من عارف بلزومها ، وأما سواه ، فليس ذلك بلازم في حقه ، اذ قد يكون جاهلاً لزومها ، أو يكون عالماً به ، ولكن عرته ؛ أي : حصل له سهو ونسيان فلذاك : لازم المذهب ليس بمذهب .

قال شيخ الاسلام في جواب له : وأما قول السائل : هل لازم المذهب مذهباً ، أم ليس بمذهب ؟ فالصواب : أن لازم مذهب الانسان ليس بمذهب له ، اذا لم يلتزمه ، فانه اذا كان قد أنكره ونفاه ، كانت إضافته اليه كذباً عليه ، بل ذلك يدل على فساد قوله وتناقضه في المقال ، غير التزامه اللوازم التي يظهر أنها من قبيل الكفر والمحال ، فالذين قالوا بأقوال يلزمها أقوال ، يعلم أنه لايلتزمها ، لكن لم يعلم أنها تلزمه ، ولو كان لازم المذهب مذهباً ، للزم تكفير كل من قال عن الاستواء وغيره من الصفات أنه مجاز ليس بحقيقة ، فان لازم هذا القول يقتضي أن لايكون شيء من أسمائه أو صفاته حقيقة . انتهى .

فالمقدمون على حكاية ذاك مذ ... هبهم أولو جهل مع العدوان

لافرق بين ظهوره وخفائه ... قد يذهلون عن اللزوم الداني

سيما إذا ما كان ليس بلازم ... لاكن يظن لزومه بجنان

لاتشهدوا بالزور ويحكم على ... ماتلزمون شهادة البطلان

بخلاف لازم مايقول آلهنا ... ونبينا المعصوم بالبرهان

فلذا دلالات النصوص جلية ... وخفية تخفى على الأذهان

والله يرزق من يشاء الفهم في آياته رزقاً بلا حسبان

ولما ذكر الناظم رحمه الله أن المذهب ليس بمذهب ، شرع في ذكر ماألزمه أهل التعطيل أهل الاثبات ، فقال :

واحذر حكايات لأرباب الكلا م عن الخصوم كثيرة الهذيان
فحكوا بما ظنوه يلزمهم فقا لوا ذاك مذهبهم بلا برهان
كذبوا عليهم باهتين لهم بما ظنوه يلزمهم من البهتان
فحكى المعطل عن أولي الاثبات قو لهمُ بأن الله ذو جثمان
وحكى المعطل أنهم قالوا بأن الله ليس يرى لنا بعيان
وحكى المعطل أنهم قالوا يجو ز كلامه من غير قصد معان
وحكى المعطل أنهم قالوا بتحـــيز الاله وحصره بمكان
وحكى المعطل أنهم قالوا له الـــ أعضاء جل الله عن بهتان
وحكى المعطل أن مذهبهم هو الـــ تشبيه للخلاق بالانسان
وحكى المعطل عنهم ما لم يقو لوه ولا أشياخهم بلســـان
ظن المعطل أن هذا لازم فلذا أتى بالزور والعدوان
فعليه في هذا محاذير ثلا ث كلها متحقق البطلان
ظن اللزوم وقذفهم بلزومه وتمام ذاك شهادة الكفران

حاصل هذه الأبيات أن الناظم رحمه الله يحكي أشياء مما ألزم بها أهل التعطيل أهل الاثبات ، فحكت المعطلة عن المثبتة أنهم يقولون : إن الله

تعالى وتقدس جسم ، وحكوا عنهم أن مذهبهم أن الله لايرى في الآخرة ، كما قال الفخر الرازي في « المعالم » أطبق أهل السنة على أن الله تعالى يصح أن يرى . وأنكرت الفلاسفة والمعتزلة والكرامية والمجسمة ذلك ، ثم قال: أما إنكار الفلاسفة والمعتزلة ، فظاهر ، وأما انكار الكرامية والحنابلة ، فلأنهم أطبقوا على أن الله تعالى لو لم يكن جسما في مكان ، امتنعت رؤيته . انتهى .

قال الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ابراهيم الفزاري في كتابه « غاية السول في علم الأصول » بعد أن حكى كلام الرازي هذا ، وماأدري أي الأمرين أسرع الى فضيحته ، نقله أو تقريره ؟ أما نقله ، فلأن الحنابلة لايختلف أولهم وآخرهم في أن المنكر لرؤية الله تعالى ، جاحد لكتابه ، وسنة رسوله ، واجماع اهل النقل ، وأما تقريره ، فلأن قوله : أطبقوا على أنه لو لم يكن جسما في مكان ، لامتنعت رؤيته ، إنما هو استدلال يقتضي اثبات الجسم ، بدليل صحة الرؤية ، لأن التقدير يكون : لولم يكن جسما ، لامتنعت رؤيته ، فيكون جسماً ، فمثل هذا لايخفى على الفخر الرازي ، وانما هو الهوى إذا غلب أعمى وأصم ، فان كل لبيب يعلم من كلام هذا الرجل ، أن في قلبه من الحنابلة داء لادواء له ، فانه أولاً أخرجهم عن أهل السنة ، فتراه يرى السنة ماابتدعه في دين الاسلام والشرعة المحمدية ، من المباحث الكلامية ، والشبه العقلية ، والآراء الفيلسوفية ، فحكم على من لايقوم مقامهم بأنهم ليسوا من أهل السنة . وثانياً أطلق عليهم اسم التجسيم ، والتجسيم لايعتقده مسلم ، وأطال الفزاري الكلام. قوله : وحكى المعطلة عنهم أنهم قالوا : يجوز كلامه من غير قصد معان . أقول : قال ابن السبكي في « جمع الجوامع » ولا يجوز ورود مالا معنى له في الكتاب والسنة ، خلافاً للحشوية . قال

المحلي في شرحه : أي في تجويزهم ورود ذلك في الكتاب والسنة ، قالوا : لوجوده فيه ، كالحروف المقطعة في أوائل السور. انتهى .قال بعض محشيه : وقد اضطرب القائلون بهذا في معنى هذا . فقال الزركشي ، والكوراني: إن أحداً لم يقل: إن في القرآن مالا معنى له . وقال الآمدي : لا يتصور اشتمال القرآن الكريم على مالا معنى له أصلاً ، وقد استدلت الحشوية أيضاً بآية (وما يعلم تأويله الا الله) آل عمران : ٧ بالوقف، فقالوا : الكون المتشابه غير معلوم لنا ، فقد خاطبنا الله بما لا نفهمه ، وهو المهمل ،نقله الجخندي . ومعلوم أن فواتح السور والآيات المتشابهات ، وان فهم لها معنى صحيح ، إلا أنه غير مقطوع بأنه مراد قائله تعالى ،ولذلك سلك كثير من المفسرين هذا، حيث قالوا في الفواتح : والله أعلم بمراده . ولما رأى الحشوية أن مثل هذا غير مفهوم منه مراد قائله ، نفوا المعنى عنه أصلاً ، وقالوا : إنه لا معنى له ، لا بمعنى أنه غير موضوع ، بل بمعنى ماذكرنا ، هذا ما في وسعي من توجيه هذا الكلام الذي اضطربت فيه الأفهام ، ولم أر لأحد ممن كتب هنا كلاماً شافياً . انتهى كلامه .

وحكت المعطلة عنهم أنهم قالوا بجواز ورود مالا معنى له في القرآن وأنهم يقولون بتحيز الله وحصره . وحكى المعطلة أنهم قالوا :له أعضاء، وأنهم شبهوا الله تعالى بخلقه . وحكت المعطلة عنهم غير هذا ، مما لم يقولوه، ولم تقله أشياخهم ، والأمر كما قال الناظم : إن المعطلة ظنوا أن هذا لازماً لقولهم ، فحكوه عنهم ، وكذبوا عليهم ، واعتدوا ، لأن لازم المذهب ليس بمذهب ، ولهذا قال الناظم : فعليه ؛ أي : على المعطل في نسبة ذلك الى أهل الاثبات ، معاذير ثلاث ، وكلها باطلة : الأول : ظن اللزوم ، والثاني قذفهم بلزومه . والثالث : شهادته عليهم بالكفر .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياشاهداً بالزور ويحك لم تخف يوم الشهادة سطوة الديان
ياقائل البهتان غط لوازما قد قلت ملزوماتها بلسان
والله لازمها انتفاء الذات والـ أوصاف والأفعال للرحمن
والله لازمها انتفاء الدين والـ قرآن والاسلام والايمان
ولزوم ذلك بيّن جداً لمن كانت له أذنان واعيتان
والله لولا ضيق هذا النظم بيـ نت اللزوم بأوضح التبيان
ولقد تقدم منه مايكفي لمن كانت له عينان ناظرتان
إن الذكي ببعض ذلك يكتفي وأخو البلادة ساكن الجبّان

شرع الناظم في بيان اللوازم التي تلزم المعطلة ، ويلزم منها انتفاء ذاته تعالى ، وصفاته ، وأفعاله ، بل يلزم منها انتفاء الدين ، والاسلام ، والقرآن وقد تقدم مايعرف من ذلك في غضون هذا النظم .

قوله : ساكن الجبان . الجبان ، والجبانة : مشددتين : المقبرة ، والصحراء ، قاله في « القاموس » :

قال الناظم :

ياقومنا اعتبروا بجهل شيوخكم بحقائق الايمان والقرآن
أو ماسمعتم قول أفضل وقته فيكم مقالة جاهل فتان
إن السموات العلى والأرض قبل العرش بالاجماع مخلوقان ؟!
والله ماهذي مقالة عالم فضلاً عن الاجماع كل زمان

من قال ذا قد خالف الاجماع والـــ ـخبر الصحيح وظاهر القرآن

فانظر الى ماجرّه تأويل لفـــ ـظ الإستواء بظاهر البطلان

زعم المعطل أن تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان

كذب المعطل ليس ذا لغة الألى قد خوطبوا بالوحي والقرآن

فأصاره هذا إلى أن قال خلـــ ـق العرش بعد جميع ذي الاكوان

يهنيه تكذيب الرسول له وإجـــ ـماع الهداة ومحكم الفرقان

لم أقف على تعيين قائل هذا القول ، ومعنى ذلك أن هذا القائل الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش بالاجماع ، واعجب لهذا الجهل العظيم ، ومخالفة الاجماع ، والخبر الصحيح ،وظاهر القرآن . وذلك أن للسلف قولين في أول المخلوقات، ما هو؟ أحدهما : أن العرش أول المخلوقات والثاني : أن القلم هو أول المخلوقات ، فكان في هذا إجماع السلف ، على أن المخلوقات العرش أو القلم ، وهذا الجاهل زعم أن السموات والأرض مخلوقان قبل العرش ، فخرق الاجماع . والخبر الصحيح الذي أشار اليه هو مارواه مسلم في « صحيحه » عن عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً قال : « كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وكان عرشه على الماء »

وقول الناظم : زعم المعطلة أن تأويل استوى بالخلق والاقبال ؛ أي : إن المعطل زعم أن تفسير الاستواء بالاقبال يتضمن . أن الأرض والسموات مخلوقان قبل العرش ، وهذا غاية الجهل

قوله : قول المعطل : ان تأويل استوى بالخلق والاقبال وضع لسان، أي :

زعم أن تأويل الاستواء بقولهم : أقبل على خلق السماء ، هو المعروف في لغة العرب ، وليس كذلك ، واذا كان العرش مخلوقاً قبل خلق السموات والأرض ، فكيف يكون استواؤه عمده الى خلقه له ؟ ! لوكان هذا يعرف في اللغة أن الاستواء على كذا ، بمعنى أنه عمد الى فعله ، وهذا لا يعرف قط في اللغة لا حقيقة ولا مجازاً لا في نظم ولا نثر ، ومن قال : استوى بمعنى عمد ، ذكره في قوله (ثم استوى الى السماء وهي دخان) فصلت : ١١ لأنه عدى بحرف الغاية كما يقال : عمدت الى كذا ، ولا قصدت عليه ، مع أن ماذكر في تلك الآية لا يعرف في اللغة أيضاً ، ولا هو قول أحد من مفسري السلف ، بل المفسرون من السلف قولهم بخلاف ذلك ، وانما هذا القول وأمثاله ابتدع في الاسلام لما ظهر إنكار أفعال الرب التي تقوم به ويفعلها بمشيئته وقدرته واختياره ، فحينئذ صار يفسر القرآن من يفسره بما ينافي ذلك ، كما يفسر سائر أهل البدع القرآن على مايوافق أقاويلهم ، وأما أن ينقل هذا التفسير عن أحد من السلف ، فلا ، بل أقوال السلف الثابتة عنهم متفقة في هذا الباب ، لا يعرف لهم فيه قولان ، كما قد يختلفون أحياناً في بعض الآيات ، وان اختلفت عباراتهم ، فمقصودهم واحد ، وهو اثبات علو الله على العرش . ثم قال الناظم على سبيل التهكم : ينبيه تكذيب الرسول له واجماع الهداة ومحكم الفرقان .

فصل

في الرد عليهم تكفيرهم أهل العلم والايمان وذكر انقسامهم الى أهل الجهل والتفريط والبدع والكفران

ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث وشيعة القرآن
إذ خالفوا رأياً له رأي ينا قضه لأجل النص والبرهان
وجعلتم التكفير عين خلافكم ووفاقكم فحقيقة الايمان
فوفاقكم ميزان دين الله لا من جاء بالبرهان والفرقان
ميزانكم ميزان باغ جاهل والعول كل العول في الميزان
أهون به ميزان جور عائل بيد المطفف ويل ذا الوزان
لو كان ثم حيا وأدنى مسكة من دين أو علم ومن ايمان
لم تجعلوا آراءكم ميزان كفـــر الناس بالبهتان والعدوان
هبكم تأولتم وساغ لكم أيكـــفر من يخالفكم بلا برهان
هذي الوقاحة والجراءة والجها لة ويحكم يافرقة الطغيان
الله أكبر ذا عقوبة تارك الـــوحيين للآراء والهذيان

أي : ومن العجائب أنكم كفرتم أهل الحديث ، إذ خالفوا آراء الرجال للنصوص ، فجعلتم الكفر والايمان لأجل خلافكم ووفاقكم ، فعلى هذا

فالميزان وفاقكم ، فمن وافقكم شهدتم له بالايمان ، ومن خالفكم شهدتم عليه بالكفران، ووفاقكم فحقيقة الايمان، مبتدأ وخبر وفاقكم مبتدأ، وحقيقته خبره.

قال الناظم رحمه الله تعالى :

لكننا نأتي بحكم عادل ... فيكم لأجل مخافة الرحمن
فاسمع إذاً يامنصفاً حكيمها ... وانظر إذاً هل يستوي الحكمان
هم عندنا قسمان أهل جهالة ... وذوو العناء وذانك القسمان
جمع وفرق بين نوعين هما ... في بدعة لاشك يجتمعان
وذوو العناد فأهل كفر ظاهر ... والجاهلون فانهم نوعان
متمكنون من الهدى والعلم بالـ ... ـأسباب ذات اليسر والامكان
لكن إلى أرض الجهالة أخلدوا ... واستسهلوا التقليد كالعميان
لم يبذلوا المقدور في إدراكهم ... للحق تهويناً بهذا الشان
فهم الألى لاشك في تفسيقهم ... والكفر فيه عندنا قولان
والوقف عندي فيهم لست الذي ... بالكفر أنعتهم ولا الايمان
والله أعلم بالبطانة منهم ... ولنا ظهارة حلة الاعلان
لكنهم مستوجبون عقابه ... قطعاً لأجل البغي والعدوان
هبكم عذرتم بالجهالة إنكم ... لن تعذروا بالظلم والطغيان
والطعن في قول الرسول ودينه ... وشهادة بالزور والبهتان

وكذلك استحلال قتل مخالفيـــكم قتل ذي الاشراك والكفران
ان الخوارج ماأحلوا قتلهم الا لما ارتكبوا من العصيان
وسمعتمُ قول الرسول وحكمه فيهم وذلك واضح التبيان
لكنكم أنتم أبحتم قتلهم بوفاق سنته مع القرآن
والله مازادوا النقير عليهما لكن بتقرير مع الإيمان
فيحق من قد خصكمُ بالعلم والـــتحقيق والانصاف والعرفان
أنتم أحق أم الخوارج بالذي قال الرسول فأوضحوا ببيان
هم يقتلون لعابد الرحمن بل يدعون أهل عبادة الأوثان
هذا وليسوا أهل تعطيل ولا عزل النصوص الحق بالبرهان

حاصل كلام الناظم رحمه الله تعالى في هذا الفصل والذي بعده ، تقسيم أهل الجهل والتعطيل الى قسمين : أهل عناد ، وجهال ، ثم قسم الجهال الى قسمين : القسم الأول : متمكنون من الهدى والعلم بالاسباب المتيسرة ، ولكن أخلدوا الى الجهالة ، واستسهلوا التقليد . والقسم الثاني : من الجهال أهل عجز عن بلوغ الحق ، مع حسن قصد وايمان بالله ورسوله ، ولقائه . ثم قال : وهم اذا ميزتهم حزبان : الأول : قوم أحسنوا الظن بما قالته الأشياخ وأهل الديانة عندهم ، ولم يجدوا سوى أقوالهم ، فرضوا بها . والضرب الثاني من هؤلاء : فطالبوا الحق ، لكن صدهم عن علمه أنهم طلبوا الحقائق من سوى أبوابها ، وسلكوا طرقاً غير موصلة الى اليقين ، فتشابهت الطرق عليهم ، وصاروا حيارى . فاما القسم الأول وهم أهل العناد والعياذ بالله ، فحكم بكفرهم ، وقد أشار الى ذلك بقوله في هذا النظم :

فالكفر ليس سوى العناد وردما قال الرسول لأجل قول فلان

وأما القسم الأول من الجهال . وهم المتمكنون من الهدى والعلم ، ولكنهم أخلدوا الى التقليد ، ولم يبذلوا وسعهم في طلب الحق ، فهؤلاء حكم الناظم بفسقهم . وأما الكفر فقيه قولان ، واختار الوقف ، وأما القسم الثاني : وهم أهل العجز عن بلوغ الحق مع ايمانهم بالله ورسوله ، ولكنهم قلدوا المشايخ وأهل الديانة ، وقال فيهم الناظم :

فأولاء معذورون إن لم يظلموا ويكفّروا بالجهل والعدوان

أي : إنهم وان عذروا بالجهالة ، فهم غير معذورين بالظلم والطغيان والطعن في قول الرسول ودينه ، والشهادة بالزور والبهتان ، واستحلال قتل مخالفيهم من المثبتة الذين أثبتوا ماأثبته الله ورسوله من الصفات ، من غير تحريف ، ولا تعطيل ، ولا تكييف ، ولا تمثيل ، ودعوى أنهم أهل شرك وكفر ، فان الخوارج لم يحل قتالهم الا لما ارتكبوه من العصيان ، واستحلال قتال أصحاب رسول الله ﷺ ، والطعن عليهم ، مع عبادتهم العظيمة ، كما قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، وقراءته مع قراءتهم ، يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية ، أينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فان في قتلهم أجراً عند الله لمن قتلهم » وقد صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه ، كما قاله الأمام أحمد وغيره . فاذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد حكم بقتل الخوارج مع عبادتهم العظيمة ، فأنتم أيها الجهال المقلدة إذا استحللتم دماء المثبتة أحق من الخوارج بالقتل . والقسم الثاني من هذا القسم ، فهم الذين طلبوا الحق ، لكن من غير طرقه ، وغلب عليهم الشك والحيرة والوقف ، من غير شك في الله أو دينه ، أو كتابه ، ولقائه . فقال :

فأولاء بين الذنب والأجرين أو احداهما أو واسع الغفران

هذا حاصل ماذكره في هذا الفصل ، قسمهم الى أربعة أقسام ، وقد

ذكر الناظم في « شرح منازل السائرين » في ذكر أجناس مايتاب منه ، وهي اثنا عشر جنساً : أربعة مذكورة في كتاب الله عز وجل . الأول : الكفر . والثاني : الشرك . فأنواع الكفر خمسة : كفر تكذيب ، وكفر استكبار وإباء مع التصديق ، وكفر اعراض ، وكفر شك ، وكفر نفاق. وبين هذه الأنواع ، ثم قال: وأما الشرك الأكبر فهو نوعان ، ثم بين ذلك بأحسن بيان .

وقال شيخ الاسلام في رده على ابن البكري : فلهذا كان أهل العلم والسنة لا يكفرون من خالفهم ، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم ، لأن الكفر حكم شرعي ، فليس للانسان أن يعاقب بمثله ، كمن كذب عليك ، وزنى بأهلك ، ليس لك أن تكذب عليه وتزني بأهله ، لأن الزنا والكذب حرام لحق الله تعالى ، وكذلك التكفير حق لله تعالى ، فلا يكفر إلا من كفره الله ورسوله . وأيضاً فان تكفير الشخص المعين ، وجواز قتله موقوف على أن تبلغه الحجة النبوية التي يكفر من خالفها ، وإلا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ... الى أن قال : ولهذا كنت أقول للجهمية من الحلولية والنفاة الذين ينفون أن يكون الله تعالى فوق العرش : أنا لو وافقتكم كنت كافراً، لأني أعلم أن قولكم كفر ، وأنتم عندي لاتكفرون لأنكم جهال .

وقال شيخ الاسلام أيضاً في كلام له بعد كلام سبق: وحقيقة الأمر في ذلك أن القول قد يكون كفراً فيطلق القول بتكفير صاحبه ، ويقال : من قال كذا فهو كافر ، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك لايحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها ، وهذا كما هو في نصوص الوعيد ، فان الله يقول : (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً) النساء : ١٠ فهذا أو نحوه من نصوص الوعيد حق ، لكن

الشخص المعين لايشهد عليه بالوعيد ، فلا يشهد لمعين من أهل القبلة بالنار ، لجواز أن لايلحقه الوعيد ، لفوات شرط ، أو ثبوت مانع ، فقد لايكون التحريم بلغه ، وقد يتوب من فعل المحرم ، ونحو ذلك ، وهكذا الأقوال التي يكفر قائلها ، قد يكون الرجل لم تبلغه النصوص الموجبة لمعرفة الحق، أو لم تثبت عنده ، أو لم يتمكن من فهمها ، أو لم يفهمها لشبهة عرضت له يعذره الله بها ، فمن كان من المؤمنين مجتهداً في طلب الحق وأخطأ ، فان الله يغفر له خطأه كائناً ما كان ، سواء في المسائل النظرية أو العملية . هذا الذي عليه أصحاب رسول الله ﷺ ، وجماهير أئمة الاسلام .

وقال رحمه الله تعالى في بعض أجوبته : فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضاً ؛ ومن ممادح أهل العلم يخطؤون ولا يكفرون ، وسبب ذلك أن أحدهم يظن ماليس بكفر كفراً ، وقد يكون كفراً ، لأنه تبين له أنه تكذيب للرسول ، وسب للخالق ، والآخر لم يتبين له ذلك ، فلا يلزم إذا كان هذا العالم بحاله يكفر اذا قاله ، أن يكفر من لم يعلم بحاله . قال : واذا كان ـ يعني الامام أحمد ـ رحمه الله يكفر الجهمية المنكرين لأسماء الله تعالى وصفاته ، لأن مناقضة أقوالهم لما جاء به الرسول ﷺ ظاهرة بينة ، ولأن حقيقة قولهم تعطيل الخالق ، وكان رضي الله عنه قد ابتلي بهم حتى عرف حقيقة قولهم وأمرهم ، وأنه يدور على التعطيل ، وتكفير الجهمية مشهور عن السلف والأئمة ، لكن ما كان يكفر أعيانهم ، فان الذي يدعو الى القول أعظم من الذي يقوله ، والذي يعاقب مخالفه أعظم من الذي يدعو فقط ، والذي يكفر مخالفه أعظم من الذي يعاقبه ، ومع هذا فالذين كانوا من ولاة الأمور يقولون بقول الجهمية : إن القرآن مخلوق ، وان الله لايرى في الآخرة، وغير ذلك من تعطيل أسمائه وصفاته ، ويدعون الناس الى ذلك ، ويمتحنونهم

ويعاقبونهم اذا لم يجيبوا ، ويكفرون من لم يجبهم ، حتى إنهم كانوا إذا قيدوا الأسير لا يطلقونه حتى يقر بقول الجهمية : ان القرآن مخلوق ، ولا يولون مستول ، ولا يرزقون من بيت المال الا من يقول ذلك ، ومع هذا فالامام أحمد ترحم عليهم ، واستغفر لهم ، لعلمه أنهم لم يتبين لهم أنهم يكذبون الرسول ﷺ ، ولا جاحدون لما جاء به ، ولكن تأولوا فأخطؤوا ، وقلدوا من قال ذلك ، وكذلك الامام الشافعي رضي الله عنه لما قال لحفص الفرد حين قال: القرآن مخلوق ، كفرت بالله العظيم ، فبين بذلك أن هذا القول كفر ، لم يحكم بردة حفص بمجرد ذلك ، لأنه لم تتبين له الحجة التي يكفر بها ، ولو اعتقد أنه مرتد لسعى في قتله . وقد صرح في كتبه بقبول شهادة أهل الاهواء ، والصلاة خلفهم ، وكذلك قال الامام مالك ، والشافعي ، وأحمد في القدري: إن جحد علم الله كفر . ولفظ بعضهم : ناظروا القدرية بالعلم ، فان أقروا به خصموا ، وان جحدوه كفروا . وسئل الامام أحمد عن القدري : هل يكفر ؟ فقال : إن جحد العلم كفر ، حينئذ فجاحده من جنس الجهمية ، وأما قتل الداعية للبدع ، فقد يقتل لكف ضرره على الناس ، كما يقتل المحارب وان لم يكن في نفس الأمر كافراً ، فليس كل من أمر الشرع بقتله يكون قتله لردته ، وعلى هذا يكون قتل غيلان القدري وغيره من أهل البدع قد يكون على هذا الوجه . انتهى كلامه .

وقال رحمه الله تعالى بعد كلام سبق في ذكر ماعليه كثير من الناس من الكفر والخروج عن الاسلام ، قال : وهذا كثير غالب ، لاسيما في الأعصار والامصار التي تغلب فيها الجاهلية والكفر والنفاق ، فلهؤلاء من عجائب الجهل ، والظلم ، والكذب ، والكفر ، والنفاق ، والضلال ، ما لا يتسع لذكره المقال . واذا كان في المقالات الخفية ، فقد يقال : إنه

فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، لكن ذلك يقع في طوائف منهم في الأمور الظاهرة التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين أنها من دين الاسلام ، بل اليهود والنصارى والمشركون يعلمون أن محمداً ﷺ بعث بها ، و كفر من خالفها ، مثل أمره بعبادة الله وحده لاشريك له ، ونهيه عن عبادة أحد سوى الله من الملائكة والنبيين أو غيرهم ، فان هذا أظهر شعائر الاسلام ، ومثل معادات اليهود والنصارى والمشركين ، ومثل تحريم الفواحش والربا والخمر والميسر ونحو ذلك . ثم تجد كثيراً من رؤوسهم ، وقعوا في هذه الأنواع ، فكانوا مرتدين وإن كانوا قد يتوبون من ذلك أو يعودون . . . الى أن قال : وأبلغ من ذلك أن منهم من يصنف في دين المشركين والردة عن الاسلام ، كما صنف الرازي كتابه في « عبادة الكواكب » وأقام الأدلة على حسن ذلك ومنفعته ، ورغب فيه ، وهذه ردة عن الاسلام باتفاق المسلمين ، وإن كان قد يكون عاد الى الاسلام . انتهى[1] .

فانظر الى تفريقه بين المقالات الخفية ، والأمور الظاهرة . فقال في المقالات الخفية التي هي كفر : قد يقال : إنه فيها مخطىء ضال لم تقم عليه الحجة التي يكفر صاحبها ، ولم يقل ذلك في الأمور الظاهرة حكمها مطلقاً ، وبما يصدر منها من مسلم جهلاً ، كاستحلال محرم ، أو فعل أو قول شركي بعد التعريف ، ولا يكفر بالأمور الخفية جهلاً ، كالجهل ببعض الصفات ، فلا يكفر الجاهل بها مطلقاً ، وان كان داعية ، كقوله للجهمية : أنتم عندي لا تكفرون ، لأنكم جهال .

وقوله : عندي . يبين أن عدم تكفيرهم ليس أمراً مجمعاً عليه ، لكنه اختياري ، وقوله في هذه المسألة خلاف المشهور في المذهب ، فان الصحيح من

---

(١) لم يخرج من الاسلام حتى يكون قد عاد اليه ، وإن كان له أخطاء .

المذهب تكفير المجتهد الداعي الى القول بخلق القرآن ، أو نفي الرؤيه ، أو الرفض ، ونحو ذلك ، وتفسيق المقلد .

قـــال الشيخ مجد الدين ابن تيمية رحمه الله : الصحيح أن كل بدعة كفر نافيها الداعية ، فانانفسق المقلد فيها ، كمن يقول في خلق القرآن ، أو ان علم الله مخلوق أو أن أسماءه مخلوقة ، أو أنه لا يرى في الآخرة ، أو يسب الصحابة تديناً ، أو يقول : إن الإيمان مجرد الاعتقاد ، وما أشبه ذلك ، فمن كان في شيء من هذه البدع يدعو اليه ، ويناظر عليه ، فهو محكوم بكفره . نص أحمد على ذلك في مواضع . انتهى .

فانظر كيف حكموا بكفرهم مع جهلهم ، والشيخ رحمه الله يختار عدم كفرهم ، ويفسقون عنده ، ونحوه قول الناظم : فانه قال : وفسق الاعتقاد كفسق أهل البدع الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويحرمون ماحرم الله ، ويوجبون ماأوجب الله ، ولكن ينفون كثيراً مما أثبت الله ورسوله جهلاً وتقليداً للشيوخ ، ويثبتون ما لم يثبته الله ورسوله كذلك ، وهؤلاء كالخوارج المارقة ، وكثير من الروافض ، والقدرية ، والمعتزلة ، وكثير من الجهمية الذين ليسوا غلاة التجهم . وأما غلاة الجهمية ، فكغلاة الرافضة ، ليس للطائفتين في الاسلام نصيب ، ولذلك أخرجهم جماعة من السلف من الثنتين وسبعين فرقة ، وقالوا : هم مباينون للملة .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

فصل

والآخرون فأهل عجز عن بلو ... غ الحق مع قصد ومع ايمان
بالله ثم رسوله ولقائه ... وهم اذا ميزتهم ضربان
قوم دهاهم حسن ظنهم بما ... قالته أشياخ ذوو أسنان
وديانة في الناس لم يجدوا سوى ... أقوالهم فرضوا بها بأمان
لو يقدرون على الهدى لم يرتضوا ... بدلاً به من قائل البهتان
فأولاء معذورون ان لم يظلموا ... ويكفّروا بالجهل والعدوان
والآخرون فطالبون الحق لـ ... ـكن صدهم عن علمه شيئان
مع بحثهم ومصنفات قصدهم ... منها وصولهم الى العرفان
احداهما طلب الحقائق من سوى ... أبوابها متسوري الجدران
وسلوك طرق غير موصلة الى ... درك اليقين ومطلع الإيمان
فتشابهت تلك الأمور عليهم ... مثل اشتباه الطرق بالحيران
فترى أفاضلهم حيارى كلها ... في التيه يقرع ناجذ الندمان
ويقول قد كثرت عليّ الطرق لا ... أدري الطريق الأعظم السلطاني

بل كلها طرق مخوفات بها الـــآفات حاصلة بلا حسبان
فالوقف غايته وآخر أمره من غير شك منه في الرحمن
أو دينه وكتابه ورسوله ولقائه وقيامة الأبدان
فأولاء بين الذنب والأجرين أو إحداهما أو واسع الغفران
فانظر إلى أحكامنا فيهم وقد جحدوا النصوص ومقتضى القرآن
وانظر الى أحكامهم فينا لأجـــل خلافهم اذ قاده الوحيان
هل يستوي الحكمان عند الله أو عند الرسول وعندي ذي الإيمان
الكفر حق الله ثم رسوله بالشرع يثبت لا بقول فلان
من كان رب العالمين وعبده قد كفراه فذاك ذو الكفران
فهلم ويحكمُ نحاكمكم الى النـــصين من وحي ومن قرآن
وهناك يعلم أي حزبينا على الـــكفران حقاً أو على الإيمان
فليهنكم تكفير من حكمت باســـلام وإيمان له النصان
لكنّ غايته كفاية من سوى الـــمعصوم غاية نوع ذا الإحسان
فيصير الأجرين أجراً واحداً إن فاته من أجله الكفلان
ان كان ذاك مكفر ياأمة الـــعدوان من هذا على الإيمان
قد دار بين الأجر والأجرين والـــتكفير بالدعوى بلا برهان
كفّرتمُ والله من شهد الرسولـــ بأنه حقاً على الإيمان

ثنتان من قبل الرسول وخصلة من عندكم أفأنتما عدلان ؟!

فصل

في تلاعب المكفرين لأهل السنة والإيمان بالدين كتلاعب الصبيان

كم ذا التلاعب منكمُ بالدين والـــــإيمان مثل تلاعب الصبيان
خسفت قلوبكمُ كما كسفت عـــــقولكم فلا تزكوا على القرآن
كم ذا تقولوا مجمل ومفصل وظواهر عزلت عن الإيقان
حتى اذا رأي الرجال أتاكمُ فاسمع لما يوحى بلا برهان

يقول الناظم رحمه الله : إنكم معاشر المخالفين للكتاب والسنة ، تلاعبتم بالدين ، كتلاعب الصبيان ، فاذا احتج أهل الاثبات بنصوص الوحيين تحيلتم في ردها بأنواع الحيل ، فتارة بدعوة الاجمـــال ، وتارة بالتأويل ، وتارة بقولكم : ظواهر لفظية لاتفيد اليقين ، ونحو ذلك ، فاذا جاءت آراء الرجال نزلوها منزلة النصوص ، ثم ضرب لهم مثلاً بقوله :

مثل الخفافيش التي ان جاءها ضوء النهار ففي كوى الحيطان
عميت عن الشمس المنيرة لاتـــــطيق هداية فيها الى الطيران
حتى إذا ماالليل جاء ظلامه جالت بظلمته بكل مكان
فترى الموحد حين يسمع قولهم ويراهمُ في محنة وهوان

وارحمتاه لعينه ولأُذنه يامحنة العينين والأذنان

قوله : مثل الخفافيش الخ . قال في « القاموس » : خفاش كرمان : الوطواط ، سمي لصغر عينيه ؛ وضعف بصره . وأمـــا الكوى فقال في « القاموس » : الكوة بفتح الكاف ويضم والكو : الخرق في الحائط جمع كوى ، وكواء ، وتكوى دخل مكاناً ضيـقاً ، أي : إن هؤلاء المعطلة ، لضعف بصائرهم ، مثل الخفافيش ، متى سمعوا نصوص الوحيين ، ورأوا نور الكتاب والسنة ؛ لم تحتملها بصائرهم لضعفها ، فاذا جاءت ظلمة آراء الرجال ، جالوا بها وصالوا ، ولهذا قال الناظم : وارحمتاه لعينه ولأذنه ، أي : بما يرى ويسمع من كثرة الآراء والهذيان والشبه التي ماأنزل الله بها من سلطان . ولهذا قال النـــاظم :

إن قال حقاً كفّروه وإن يقو اوا باطلاً نسبوه للايمان

حتى اذا مارده عادوه مثـــل عداوة الشيطان للانسان

قالوا له خالفت أقوال الشيو خ ولم يبالوا الخلف للفرقان

خالفت أقوال الشيوخ فأنتم خالفتمُ من جاء بالقرآن

خالفتمُ قول الرسول وانما خالفت من جرّاه قول فلان

أي : إن قال المثبت بما دلت عليه نصوص الوحيين كفروه ، وإن قالوا هم باطلاً نسبوه الايمان ، فان رده المثبت عادوه مثل عداوة الشيطان للانسان ، يحتمل أن مراده بالشيطـــان والانسان آدم وإبليس ، ويحتمل أن مراده الجنس ، أي : عادوه مثل عداوة الشيطان لجنس بني آدم .

قوله : قالوا : خالفت أقوال الشيوخ ، أى : قالوا له : خالفت أقوال الشيوخ ، وهم قد خالفوا القرآن من غير مبالاة ، فيقول لهم المثبت : إن كنت خالفت أقوال الشيوخ ، فلم أخالفها الا لأجل من جاء بالقرآن .

قوله : من جراه بضم الجيم والمد . أي : من أجل الرسول ﷺ .

قال الناظم رحمه الله تعالى :

ياحبذا ذاك الخلاف فانه عين الوفاق لطاعة الرحمن
أوماعلمت بأن أعداء الرسو ل عليه عابوا الخلف بالبهتان
لشيوخهم ولما عليه قد مضى أسلافهم في سالف الأزمان
ماالعيب الا في خلاف النص لا رأي الرجال وفكرة الاذهان
أنتم تعيبون بهذا وهو من توفيقنا والفضل للمنان
فليهنكم خلف النصوص ويهننا خلف الشيوخ أيستوي الخلفان
والله ماتسوى عقول جميع أهـــل الأرض نصاً صح ذا تبيان
حتى نقدمها عليه معرضـــين مؤولين محرفي القرآن
والله ان النص فيما بيننا لأجلّ من آراء كل فلان
والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من انسان

أي : ينبغي لك أيها الناظر في هذا النظم أن تعلم أن أعداء الرسول عابوا عليه ، خلاف آبائهم وقالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون . ومن معائبهم للرسول ﷺ أنهم يقولون له : ضلت آباءنا ، فيقول الناظم : ماالعيب الا في خلاف النص ، وأما خلاف آراء الرجال المخالفة للنصوص ، فهو

عين الوفاء لطاعة الرحمن ، ولهذا قال متهكماً بهم : فليهنكم خلف النصوص ويهننا الخ . ثم قال : والله لم ينقم علينا منكم أبداً خلاف النص من إنسان ، أي : والله مانقمتم علينا مرة واحدة خلاف النص ، وانما خلاف الأشعري ، وأشار الى ذلك بقوله :

إلا خلاف الاشعري بزعمكم وكذبتم أنتم على الانسان

كفّرتم من قال من قد قاله في كتبه حقاً بلا كتمان

هذا وخالفناه في القرآن مثـــــل خلافكم في الفوق للرحمن

فالأشعري مصرح بالاستوا ء وبالعلو بغاية التبيان

ومصرح أيضاً باثبات اليديـــن ووجه رب العرش ذي السلطان

ومصرح أيضاً بأن لربنا سبحانه عينان ناظرتان

ومصرح أيضاً باثبات النزو ل لربنا نحو الرفيع الداني

ومصرح أيضاً باثبات الأصا بع مثل ماقد قال ذو البرهان

ومصرح أيضاً بأن الله يو م الحشر يبصره أولو الايمان

جهراً يرون الله فوق سمائه رؤيا العيان كما يرى القمران

ومصرح أيضاً باثبات المجيء وأنه يأتي بلا نكران

ومصرح بفساد قول مؤوّل للاستواء بقهر ذي السلطان

ومصرح أن الألى قالوا بذا التأويل أهل ضلالة ببيان

ومصرح أن الذي قد قاله أهل الحديث وعسكر القرآن

هو قوله يلقي عليه ربه وبه يدين الله كل أوان

قال أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري في كتابه الذي صنفه في اختلاف المصلين ومقالات الاسلاميين وذكر فيه فرق الروافض والخوارج والمرجئة والمعتزلة وغيرهم ، ثم قال مقالة أهل السنة وأصحاب الحديث : جملة قول أصحاب الحديث، وأهل السنة ، الاقرار بالله، وملائكته ، وكتبه ، ورسله، وبما جاء عن الله ، وما رواه الثقات عن رسول الله ﷺ ، لايردون شيئاً من ذلك ، وأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لااله غيره ، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن الساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الله على عرشه، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ وأن له يدين ، بلا كيف ، كما قال (خلقت بيدي) ص : ٧٥ وكما قال : (بل يداه مبسوطتان) المائدة: ٦٤ وأن له عينين بلا كيف كما قال (تجري بأعيننا) القمر : ١٤ وأن له وجهاً كما قال : (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن أسماء الله لايقال : إنها غير الله ، كما قالت المعتزلة والخوارج ، وأقروا أن لله علماً كما قال (أنزله بعلمه) وكما قال (وما تحمل من أنثى ولا تضع الا بعلمه) فاطر : ١١ وأثبتوا السمع والبصر ، ولم ينفوا ذلك عن الله كما نفته المعتزلة ، وأثبتوا لله القوة ، كما قال (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) فصلت : ١٥ وذكر مذهبهم في القدر . . . الى أن قال : ويقولون : القرآن كلام الله غير مخلوق ، والكلام في اللفظ والوقف ، من قال باللفظ وبالوقف فهو مبتدع عندهم ، لايقال : اللفظ بالقرآن مخلوق ، ولا يقال : غير مخلوق ، ويقرون أن الله يرى بالابصار يوم القيامة كما يرى

القمر ليلة البدر ، يراه المؤمنون، ولا يراه الكافرون ، لأنهم عن الله محجوبون، وذكر قولهم في الاسلام ، والإيمان ، والحوض ، والشفاعة ، وأشياء . . . . الى أن قال : ويقرون بأن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، ولا يقولون: مخلوق ، ولا غير مخلوق ، ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار . . الى أن قال : وينكرون الجدل والمراء في الدين ، والخصومة ، والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ، ويتنازعون فيه من دينهم ، ويسلمون الروايات الصحيحة ، ولما جاءت به الآثار التي جاء بها الثقات ، عدلاً عن عدل ، حتى ينتهي ذلك الى رسول الله ﷺ ، لايقولون (كيف) ولا (لم) لأن ذلك بدعة . . . الى أن قال : ويقرون أن الله يجيء يوم القيامة كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) وأن الله يقرب من خلقه كيف يشاء ، كما قال : (ونحن أقرب اليه من حبل الوريد) ... الى أن قال : ويرون مجانبة كل داع الى بدعة ، والتشاغل بقراءة القرآن ، وكتابة الآثار ، والنظر في الفقه ، مع الاستكانة ، والتواضع ، وحسن الخلق ، مع بذل المعروف ، وكف الأذى . وترك الغيبة ، والنميمة ، والسعاية ، وتفقد المآكل والمشارب . قال: فهذه جملة مايؤمرون به ، ويستسلمون اليه ، ويرونه . وبكل ماذكرنا من قولهم نقول ، وإليه نذهب ، ومـــا توفيقنا الا بالله ، وهو المستعان . وقال الأشعري أيضاً في اختلاف أهل القبلة في العرش : قال أهل السنة وأصحاب الحديث : ليس بجسم ، ولا يشبه الأشياء، وأنه استوى على العرش، كما قال (الرحمن على العرش استوى) طه : ٥ ولا يتقدم بين يدي الله في القول ، بل نقول : استوى بلا كيف . وأنه له وجهاً ، كما قال (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) الرحمن : ٢٧ وأن له يدين ، كما قـــال (خلقت بيدي) ص: ٧٥ وأن له عينين ، كما قال (تجري بأعيننا) البقرة ١٤

وأنه يجيء يوم القيامة وملائكته ، كما قال (وجاء ربك والملك صفاً صفاً) الفجر : ٢٢ وأنه ينزل الى سماء الدنيا ، كما جاء في الحديث ، ولم يقولوا شيئاً الا ماوجدوه في الكتاب ، أو جاءت به الرواية عن رسول الله ﷺ . وقالت المعتزلة : إن الله استوى على العرش ، بمعنى استولى ، وذكر مقالات أخرى . وقال أيضاً أبو الحسن الاشعري في كتابه الذي سماه « الابانة في أصول الديانة » : وقد ذكر أصحابه آخر كتاب صنفه ، وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه فقال : فصل في ابانة قول أهل الحق والسنة. فان قال قائل : قد أنكرتم قول المعتزلة ، والقدرية ، والجهمية ، والحرورية والرافضة ، والمرجئة ، فعرفونا قولكم الذي به تقولون ، وديانتكم التي بها تدينون ؟ قيل له : قولنا الذي نقول به ، وديانتنا التي ندين بها ، التمسك بكتاب ربنا ، وسنة نبينا ، وما روي عن الصحابة والتابعين ، وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون ، وبما كان يقول أبو عبد الله أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ، ورفع درجته ، وأجزل مثوبته قائلون ، ولما خالف قوله مجانبون ، لأنه الامام الفاضل ، والرئيس الكامل الذي أبان الله به الحق ، ودفع به الضلال ، وأوضح به المنهاج ، وقمع به بدع المبتدعين ، وزيغ الزائغين ، وشك الشاكين ، فرحمة الله عليه من امام مقدم ، وجليل معظم ، وكبير مفهم .

وجملة قولنا أنا نقر بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، وبما جاؤوا به من عند الله ، وبما رواه الثقات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لانرد من